كَلِمَةُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)
فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

إِعْدادُ:

د. عماد عبد الكريم سليم خصاونه

اَلْأُسْتَاذِ بِكُلِّيَّةِ الشَّرِيعَةِ فِي جَامِعَةِ آلِ الْبَيْتِ فِي الْأُرْدُن

المقدمة

أشهد أن لا إله إلا الله له الملك وله الحمد ملء السموات والأرض وإليه المصير، وأن محمدا رسول الله وصلي اللهم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أيده الله تعالى بالدلائل والمعجزات العظمى، وأنزل عليه القرآن الكريم هدى للمتقين، لينقذ الناس من عذاب السعير.

وبعد: فإن علم التوحيد، من أشرف العلوم وأفضلها، وهو من أخص مقاصد القرآن الكريم، ومن أهم أقسامه، فبين سبحانه وتعالى التوحيد في القرآن الكريم، بما شهد به على نفسه، وبما شهد به أشرف خلقه، وأثبت تعالى أجل الأسماء، وأفضل الصفات لتنزيهه عما لا يليق بجلاله وكماله، وأثبت كمال الربوبية والألوهية، فقال شيخ الإسلام: "ولهذا كانت لا إله إلا الله أحسن الحسنات، وكان التوحيد بقول لا إله إلا الله؛ رأس الأمر"(١). وبين القرآن الكريم الطريق الموصولة إلى ذلك، بمنهج فريد، وبإسلوب حكيم، يجعل الإنسان يجاهد للوصول إلى المقصود، قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾(٢) ليعيش الإنسان سليماً من الشرك والشك والشهوات والإنحرافات، ويلتزم بالإخلاص والمحبة لله تعالى، فتكون إرادته تابعة لمحبة الله، وهواه تابعا لما جاء عن الله، فهذه هي السلامة التي تجعل للإنسان قيمة ووزنا ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ

(١) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ١\٢٣ .

(٢) سورة الحج : آية ٧٨.

بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[١].

وأما السنة النبوية الشريفة – فيما يتعلق بعلم التوحيد – فقد جاءت مؤكدة وموضحة لما جاء به القرآن الكريم، فعن معاذ بن جبل– رضي الله عنه: قال: ((قال النبي – صلى الله عليه وسلم يا معاذ أتدري ماحق الله على العباد، قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أتدري ماحقهم عليه قال: الله ورسوله أعلم قال: أن لا يعذبهم))[٢].

مشكلة الدراسة:

علم التوحيد، من أهم العلوم على الإطلاق؛ وتكمن أهميته في تحقيق السعادة للإنسانية في الدنيا والآخرة. ومن مقتضيات ذلك النظر في آيات القرآن التي تحدثت عن توحيده سبحانه وتعالى، لذلك جاءت الدراسة لتجيب عن الأسئلة التالية:

- **كيفية الاستدلال القرآني على التوحيد من خلال كلمة لا إله إلا الله؟**
- **ما هي الأهداف التي تحققت من خلال كلمة لا إله إلا الله؟**

منهج الدراسة:

اتبع الباحث في إعداد الدراسة المنهج التالي:

١–المنهج الاستقرائي: حيث تتبعت كلمة لا إله إلا الله في القرآن الكريم.

(١) سورة الشعراء : آية ٨٨–٨٩.

(٢) رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث(٦٩٣٨)، ٩\١١٤.

٢-المنهج التحليلي: قام الباحث بإتباع التفسير التحليلي للآيات القرآنية، وكان الاعتماد على كتب التفاسير؛ لأن البحث متخصص فيه.

أدبيات البحث:

لقد وجد الباحث كتبا كثيرة في مجال التوحيد ومنها على سبيل المثال ولا الحصر:

- ❖ معنى لا إله إلا الله، أبو عبد الله بدر الدين محمد عبد الله الزركشي ، المحقق علي محيي الدين علي قرة داغي، دار الاعتصام القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥.
- ❖ معنى لا إله إلا الله، ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢م.
- ❖ شروط لا إله إلا الله، عواد بن عبد الله المعتق، الناشر المدينة المنورة، ١٤١٥ هـ.

تتناول الدراسات السابقة كلمة لا إله إلا الله بالعموم، من خلال الحديث عن التوحيد فلم تكن دراسات استقصائية، بل كانت تتناول الموضوع بشكل عام وليس بطريقة منهجية متخصصة، إذ تناول الزركشي في كتابه؛ معنى لا إله إلا الله من خلال الجانب الإعرابي في التركيز على العلاقة بين المبنى والمعنى، وأما الفوزان فقد كانت دراسته في تحديد معنى الوحدانية وإثباتها من خلال فهم السلف الصالح وأهل العلم السابقين، أما دراسة المعتق فقد انصبت على تحقيق شروط لا اله الا الله.

وقد استفاد الباحث من هذه الدراسات في مجال بحثه الحالي، وتناول أيضا بحثه ورود لا إله إلا الله في القرآن من حيث عددها وتقسيمها الى مكي ومدني وكيفية الاستدلال بها في القران الكريم والهدف من هذا الاستدلال.

خطة البحث

من خلال جمع الآيات القرآنية وتحليلها ،اقتضت أن تكون الخطة على النحو الآتي:

المبحث الأول: (لا إله إلا الله) معناها وأركانها وشروطها وورودها في القرآن الكريم.

أولًا: معنى لا إله إلا الله.

ثانياً: أركانها.

ثالثاً: شروطها.

رابعاً: ورودها في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الاستدلال في آيات القرآن بـ (لا إله إلا الله).

أولاً: الاستدلال بشهادته تعالى وأسمائه وصفاته.

ثانياً: الاستدلال بقصص الأنبياء في القرآن الكريم.

ثالثاً: الاستدلال بالمخلوقات.

المبحث الثالث : الهدف من (لا إله إلا الله)

أولاً: توحيد الله تعالى.

ثانياً: التصديق بنبوة الرسول –صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: التصديق بالقرآن الكريم.

رابعاً: التصديق بيوم القيامة.

خامساً: التصديق بالإسلام.

وخاتمة جمعت أهم النتائج للبحث.

والحمد لله رب العالمين ...

المبحث الأول: (لا إله إلا الله) معناها وأركانها وشروطها وورودها في القرآن الكريم:

يتناول هذا المبحث المعنى الصحيح لكلمة لا إله إلا الله، وتحقيق أركانها وشروطها، ومن ثم ورودها في القرآن الكريم من حيث المكي والمدني ودلالة ذلك.

أولا: معنى لا إله إلا الله:

يشير معنى لا إله إلا الله الى أنه لا معبود بحق إلا إله واحد وهو الله وحده لا شريك له، لأنه المستحق للعبادة فتضمنت هذه الكلمة أن ما سوى الله من سائر المخلوقات ليس بإله حق وأنه باطل، لأنه لا يستحق العبادة[1].

وقد أخطأ من فسرها بأنه لا موجود إلا الله، لأن معنى الإله : المعبود فيصبح المعنى كل معبود بحق أو باطل هو الله، فيكون ما عبده المشركون من شمس وقمر ونجوم هو الله، فكأنه قيل: ما عبد على هذا التقدير إلا الله، وهذا من أبطل الباطل[2]، فقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾[3].

فبين سبحانه وتعالى أن الفعل الذي فعله من إيلاج الليل في النهار

---

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين، ص (٣١) وانظر معنى لا اله الا الله، الفوزان، ص (٢٠) وانظر شروط لا إله الا الله، المعتق،٤١٢.

(٢) انظر العقيدة في الله، الأشقر، ص ٢٥٦

(٣) سورة الحج–آيه ٦٢

والنهار في الليل، ذلك لأنه هو الحق الذي لا مثيل له ولا شريك ولاندّ، وأن الذي يدعوه هؤلاء المشركون إلها من دونه الذي لا يقدر على صنع شيء بل هو المصنوع، يقول لهم تعالى ذكره أفتتركون أيها الجهال عبادة من منه النفع وبيده الضر وهو القادر على كل شيء وكلّ شيء دونه وتعبدون الباطل الذي لا تنفعكم عبادته[١]، فالله سبحانه وتعالى الإله الحق لا تنبغي العبادة إلا له لأنه ذو السلطان العظيم الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وكل شيء فقير إليه، ذليل لديه وأن ما يدعو المشركون من أصنام وأنداد فهو باطل[٢]، والمعلوم أن نفي الماهية أقوى في التوحيد الصرف من نفي الوجود، فكان إجراء الكلام على ظاهره والإعراض عن هذا الإضمار أولى[٣] فالمعنى الصحيح؛ أنه لا معبود يستحق العبادة إلا الله وحده.

وقال البقاعي: « لا إله إلا الله فهذا تقرير للوحدانية بنفي غيره وإثباته فلا يصح بوجه ولا يمكن في عقل أن يصلح للإلهية غيره أصلا فلا يستحق العبادة إلا هو »[٤].

فإلهكم الحق الحقيق بالعبادة إله واحد لا إله مستحق لها إلا هو.

ثانيا: أركانها:

يأتي بعد الحديث عن معنى لا إله إلا الله، بيان أركانها أي أجزاؤها التي

---

(١) جامع البيان، الطبري، ١٨\٦٧٦ ٨

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥\٤٤٩ ٩

(٣) الطحاوية، ابن أبي العز، ٦٤ شرح ١٠

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والصور، البقاعي،٢\٢٨١.

لا تتحقق بدونها وهي إثنتان:

١-النفي : أي نفي الإلهية الحقه عما سوى الله تعالى من سائر مخلوقاته.

٢-الإثبات وحده إلا الله ، أي إثبات الإلهية الحقة لله تعالى وحده لا شريك له في عبادته ،كما أنه لا شريك له في حكمه(١).

قال ابن القيم: دلالة لا إله إلا الله على إثبات الألوهية أعظم من دلالة قوله: الله إله، لأن قوله الله إله، لا ينبغي إلهه ما سواه بخلاف قول: لا إله إلا الله فإنه يقتضي حصر الألوهية ونفيها عما سواه(٢).

فهي صيغة جامعة بين النفي والإثبات ليدل على حصر الإلهية لله تعالى، فإن الجمع بين النفي والإثبات أبلغ صور الحصر، وقد ثبت العلم الضروري بالاكتفاء بهذه الكلمة الشريفة في إثبات التوحيد لله تعالى من غير نظر الى واسطة بين النفي والإثبات ولا انضمام لفظ آخر إليه.

والقرآن الكريم استعمل (لا إله إلا الله) و (ما من إله إلا الله) وكل واحدة من الجملتين اشتمل الكلام فيها على نفي وإثبات ومن المؤكدة للنفي المستغرق في إحدى الجملتين ملفوظ، والأخرى تضمنت الجملة معناها، ولكن وردت (لا إله إلا الله) أكثر في القرآن(٣).

---

(١) انظر: شروط لا إله إلا الله ، المعتق، ص ٤١٦.

(٢) انظر: معنى لا إله الله ، الفوزان، ص ١٦.

(٣) انظر: معنى لا إله إلا الله، الزركشي ص ٨٤،٨٨.

ثالثا: شروطها:

١-العلم: وهو أن تعلم بمعناها نفياً وإثباتاً علما منافيا للجهل[١] قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٢] وقال صلى الله عليه وسلم: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة)[٣].

٢-اليقين: أن يكون قال لا إله إلا الله مستيقناً قلبه بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً منافياً للشك، فمن قالها شاك بتحقيق لديه هذا الشرط[٤] قال تعال ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾[٥]، وقال صلى الله عليه وسلم : أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة[٦].

٣-الإخلاص: وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك[٧]، ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٨].

---

(١) شروط لا إله إلا الله ، المعتق، ص ٤٢٠.

(٢) سورة محمد :آية ١٩.

(٣) رواه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة، رقم الحديث(١٤٥)،١ \ ٤١.

(٤) شروط لا إله إلا الله ، المعتق، ص ٤٢٥.

(٥) سورة الحجرات : آية ١٥.

(٦) رواه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة، رقم الحديث(١٤٨)،١/٤٨.

(٧) العقيدة في الله، الأشقر، ٢٥٨.

(٨) سورة غافر: آيه :٦٥.

وقال صلى الله عليه وسلم: (أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصة من قلبه ونفسه)(1).

٤- الصدق: أن يقول المرء لا إله إلا الله مصدقا من قلبه بمعناها ومقتضاها صدقاً منافياً للكذب، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾(2)، وقال صلى الله عليه وسلم: (ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار)(3).

٥- المحبة: المودة للا إله إلا الله، ولما اقتضته ودلت عليه من الأقوال والأفعال محبة منافية لضدها، وأن يكون الله سبحانه ورسوله- صلى الله عليه وسلم – أحب إليه مما سواهما، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾(4)، قال رسول الله عليه وسلم : (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله، ومن يكره

(1) رواه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم الحديث(٩٩)،١/١٩٣.

(2) سورة البقرة :آيه ٨-٩

(3) رواه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب العلم، باب من خص بالعمل قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، رقم الحديث (١٢٨)،١/٢٢٦.

(4) سورة البقرة : آيه ١٦٥.

أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره الا يلقى في النار)[١].

٦-الانقياد: الانقياد التام لا إله إلا الله ولما اقتضته ظاهراً وباطناً انقيادا منافيا للترك[٢]، قال تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾[٣]، وقال صلى الله عليه وسلم : (من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له أطاع بها قلبه وذل بها لسانه وأشهد أن محمدا رسول الله حرمه الله على النار)[٤].

٧-القبول: وذلك " لما اقتضته كلمة التوحيد هذه بقلبه ولسانه،من غير استكبار قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾[٥]

رابعا: ورودها في القرآن الكريم:

لما كان أنفس الأعمال وأجلها قدراَ توحيد الله تعالى، بدأ العلماء بتتبع كل ما له علاقه بالتوحيد، فبحثوا عن كلمة لا إله إلا الله في القرآن الكريم، من ورودها وتفسيرها، حتى أنهم لما وصلوا إلى سورة النعم وهي سورة النحل، فعددوا النعم التي فيها وقالوا ما أنعم الله على عباده من نعمه أعظم من إن

(١) رواه البخاري، الجامع المسند، الصحيح، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم الحديث(١٦)، ١/٧٢.

(٢) انظر معنى لا إله إلا الله، الفوزان، ١٩.

(٣) سورة الزمر:آيه ٥٤

(٤) أخرجه الطبراني، المعجم الأوسط، ٢،١٣٦٤\٩٤، وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد، ١\٢١، فيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم والأكثر على تضغيفه.

(٥) سورة الصافات : آيه ٣٥.

عرفهم لا إله إلا الله [1].

فوردت كلمة لا إله إلا الله في القرآن الكريم في عدة مواضع، فذكر في حاشية الروض المربع [2] أنها ذكرت في (٣٧) موضعاً في القرآن الكريم، ولكن عند استقراء الآيات القرآنية تبين أنها وردت في (٤٠) موضعا في (٣٩) آيه من القرآن الكريم .

وقد رتبت الآيات من حيث المكي والمدني.

أ- الآيات المكية:

١) ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ الأنعام: ١٠٢

٢) ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام: ١٠٦

٣) ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٨

٤) ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ يونس: ٩٠

٥) ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم

(١) انظر: كلمة الإخلاص، ابن رجب ،ص ٣٥٠، انظر تجريد التوحيد، المقريزي،ص٦

(٢) انظر: حاشية الروض المربع، الحنبلي،١\٢٣.

مُّسْلِمُونَ ﴾ هود: ١٤

٦) ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ النحل: ٢

٧) ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ طه: ٨

٨) ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ طه: ١٤

٩) ﴿ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ طه: ٩٨

١٠) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥

١١) ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٧

١٢) ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ المؤمنون: ١١٦

١٣) ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ النمل: ٢٦

١٤) ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ القصص: ٧٠

١٥) ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ القصص: ٨٨

١٦) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ فاطر: ٣

١٧) ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الصافات: ٣٥

١٨) ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ ﴾ ص: ٦٥

١٩) ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾ الزمر: ٦

٢٠) ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ غافر: ٣

٢١) ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ غافر: ٦٢

٢٢) ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ غافر: ٦٥

٢٣) ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ ﴾ الدخان: ٨

٢٤) ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ المزمل: ٩

ب- الآيات المدنية:

١) ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ البقرة: ١٦٣

٢) ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٥

٣) ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ آل عمران: ٢

٤) ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ آل عمران: ٦

٥) ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ آل عمران: ١٨

٦) ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ آل عمران: ٦٢

٧) ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ النساء: ٨٧

٨) ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ المائدة: ٧٣

٩) ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ التوبة: ٣١

١٠) ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ التوبة: ١٢٩

١١) ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾ الرعد: ٣٠

١٢) ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ محمد: ١٩

١٣) ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ الحشر: ٢٢

١٤) ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الحشر: ٢٣

١٥) ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ التغابن: ١٣

ذكرت كلمة لا إله إلا الله في السور المكية والمدنية، ولكن جاء ذكرها في السورة المكية أكثر منه في السور المدنية، ولعل ذلك يرجع إلى أن المجتمع المكي هو أول من خاطبهم القرآن الكريم، وأهل مكة كانوا يعبدون الأصنام، ويتقدمون إليها بالقرابين، ولإبطال هذه العبادة، ولتعزيز عقيدة التوحيد في قلوبهم، أكثر الله عز وجل في القرآن الكريم من الآيات والبراهين المعجزة الدالة على فساد عبادة الأوثان، والشرك بالله عز وجل وإثبات الوحدانية لله عز وجل، وبقي الرسول– صلى الله عليه وسلم– في مكة ثلاثة عشر عاما، يدعوهم الى توحيد الله وترك الأصنام حتى أصبح العرب قاطبة يعلمون الغاية من الرسالة الإسلامية وهم الأكثرون عددا، ويلاحظ في حديث القرآن عن المجتمع المكي؛ التنديد بأخلاقيات الجاهلية وأنه قد بدأ في اللحظة الأولى، مع التنديد بتصورات فسادهم الاعتقادية كالطغيان، والكذب والتطفيف بالميزان، فحديث القرآن عن الأخلاقيات الجاهلية الكريهة، يقابله حديث عن أخلاقيات الإيمان العالية، وكل ذلك يوحي إلينا أن الجاهلية تكون بتلك الأخلاق، وأن الإسلام

يكون بهذه الأخلاق، وبذلك يكون درس الأخلاق جزءا من درس العقيدة وثيق الصلة بلا إله إلا الله[١]، وأما في المدينة فكان يسكنها العرب وبجانبهم عدد قليل من أهل الكتاب، فذكرت آيات التوحيد لتثبت أن العقيدة هي التي جاء بها الأنبياء السابقون، وهي دعوتهم الى الأمم السابقة وبينت أسماء الله الحسنى .

ووردت كلمة التوحيد بالنفي بحرف (لا) كقوله (لا إله إلا هو) و (لا إله إلا الله) وهذا في أغلب المواضع الواردة لتقرير الوحدانية ووردت في ثلاثة مواضع بالنفي بحرف (ما) فالموضع الأول في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[٢] وفي سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[٣].

وفي سورة ص في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾، وفيها إشارة الى الدليل الدال على كونه منزهاَ عن الشريك والنظير، فكانت هذه الآية مقابل قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ ﴾تشير هذه الآية إلى رد إنكارهم .

فالله سبحانه وتعالى بين أن الإله الحق لا يكون إلا واحدا، فلما قصد زيادة الاهتمام بالنفي في هذا السياق جيء بحرف (ما) النافية وأظهر بعده

(١) انظر دراسات قرآنية، محمد قطب، ص ١٤٢.

(٢) سورة آل عمرا ن : آيه ٦٢

(٣) سورة المائدة :آيه ٧٣.

حرف (من)، وهذه العبارة أشد تأكيدا لنفي تعدد الإله، لأن (من) بعد (ما) تفيد استفراق النفي وشموله لكل نوع من أنواع المتعدد وكل فرد من أفراده، فليس ثم تعدد ذوات وأعيان، ولا تعدد أجناس أو أنواع، ولا تعدد جزئيات أو أجزاء.

وأما ذكر(واحد) في المائدة، و(الله) في آل عمران؛ لأن سياق الآية في المائدة يفيد حصر الإلهية في واحد، لينتفي التثليث المحكي عن النصارى، فلما أبطلت عقيدة التثليث، ثبت الوحدانية فتعين أن الواحد هو الله تعالى، لأنه متفق على ألوهيته، فبذلك غيره معه، وثبت آلهيته تعالى[1].

وأما سياق آل عمران فقد ذكر لفظ الجلالة (الله) لأن المقام اقتضى تعين الألوهية وحصرها في الله سبحانه وتعالى .

ويلحظ على (لا إله إلا الله) أن جميع حروفها جوفية ليس فيها الحروف الشفهية للإشارة إلى الإتيان بها من خالص الجوف وهو القلب، وليس فيها حرف معجم بل جميعها متجردة عن النقط إشارة إلى التجرد عن كل معبود سوى الله تعالى[2].

---

(1) انظر : تفسير المنار، رضا ،٦/٤٠٢، و انظر التحريرو التنوير، ابن عاشور،٦/٢٨٢.

(2) انظر: معنى لا إله إلا الله ،الزركشي،٨٣.

المبحث الثاني: الاستدلال القرآني بـ (لا إله إلا الله)

لا بد من معرفة أن الاستدلال ما يتوصل به إلى معرفة صحة الشيء وصدقه وإثبات هذه الصحة بطريق من طرق الإثبات، ولقد جاء القرآن الكريم لتشريع مبادئ وتعاليم ويقيم عليها دلائل صدقها وصحتها، ويحث الناس على طلب الدليل وفهم البراهين، وقد استوعب القرآن الكريم الاستدلال على صحة عقيدة الوحدانية، وأنها الحق المبين، و أن كل شريك أو معبود مع الله هو كذب وافتراء بل كلها أصنام وأوهام ولذلك لم يترك القرآن الكريم دليلا يصلح لخطاب البشر إلا أورده على أتم الوجوه، حتى لا يقال أنه لم يقم الدليل على صحة الوحدانية، ولكنه أوجب على الناس أن يتدبروا هذه الأدلة، وأن يفهموها ويحصلوها ولو إجمالا حتى يكونوا على بينة في أعظم حقائق الوجود ، وحتى يكون إيمانهم على غاية الاستقرار، ولذلك نوع الأدلة في هذا المجال تنويعاً عجيباً، حتى تناسب جميع الناس على اختلاف مستوياتهم وعصورهم(١).

أولاَ: الاستدلال بشهادته تعالى وأسماءه وصفاته:

قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾(٢)، هذا تقرير من الله سبحانه وتعالى للتوحيد

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز،ص٥٣.وانظر التفسير الموضوعي منهاج جامعة المدينة العالمية،١\٢٨-٢٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨.

بأعظم الطرق الموجبة له، وهي شهادته تعالى[1] فلما أخبر سبحانه تعالى بوحدانيته في أول السورة (آل عمران) واستدل عليها وأخبر عما أعد للكافرين واستدل عليه بما دل على الوحدانية وختم بالأخبار بما أعد للمتقين، فكرر تعالى هذه النتيجة كما اقتضته الأدلة، فكانت شهادته سبحانه وتعالى مقرونة بشهادة الملائكة وأولي العلم؛ ومعنى ذلك على قولين:

الأول: أن الشهادة من الله تعالى، ومن الملائكة ومن أولي العلم بمعنى واحد ويمكن تقريره من وجهين:

الوجه الأول: أن تجعل الشهادة عبارة عن الإخبار المقرون بالعلم ، وهو معنى حاصل في حق الله تعالى وفي حق الملائكة وفي حق أولى العلم، أما في حق الله تعالى فقد أخبر في القرآن عن كونه واحد لا إله معه، وأما من الملائكة وأولي العلم فكلهم أخبروا أن الله تعالى واحدٌ لا شريك له .

الوجه الثاني: أن نجعل الشهادة عبارة عن الإظهار والبيان، فإنه أظهر ذلك وبينه بقوله وفعله وصفته وخلقه من فعله سبحانه وتعالى. وأما الملائكة وأولو العلم فقد أظهروا ذلك وبينوه بتقرير الدلائل والبراهين، والتفاوت إنما وقع في الشيء الذي به حصل الإظهار والبيان، فالمفهوم الإظهار والبيان فهو مفهوم واحد في حق الله تعالى، وأولي العلم، والمقصود من ذلك كأنه يقول للرسول صلى الله عليه وسلم : إن وحدانية الله تعالى أمر قد ثبت بشهادة الله تعالى، وشهادة جميع المعتبرين من خلقه، فأثبت أنت وقومك يا محمد على ذلك [2].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي،١\١٤٤.

(٢) انظر: نظم الدرر، البقاعي، ٤/٢٨٩.

والقول الثاني: شهادة الله على توحيده، فقد أظهر سبحانه وتعالى ما يدل على توحيده، وكانت شهادة الملائكة وأولي العلم عبارة عن إقرارهم بذلك، ولما كان كل واحد من هذين الأمرين شهادة : لم يبعد أن يجمع بين الكل في اللفظ(١)، ونظيره قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾(٢).

وأما قوله تعالى (قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ) فهي بيان لكماله تعالى في أفعاله إثر بيان كماله في ذاته (٣) ثم كرر قوله تعالى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ فكرر سبحانه وتعالى كلمة التوحيد للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد إقامة الحجة وليبنى على قوله تعالى: ﴿ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ فيعلم أنه موصوف بها، وقدم العزيز لتقديم العلم بقدرته على العلم بحكمته (٤)، وهو دليل على قسطه لأنه لا يصح أبدا لذي العزة الكاملة، والحكمة الشاملة أن يتصرف بجور، لأنه لا يصح التفرد بدون الوصفين وليسا على الإطلاق لأحد غيره أصلا، فكل من كان من أهل الألباب فلا بد أن يخلص التوحيد لرب العالمين(٥) وفيه إشارة إلى مزيد الاعتناء بمعرفة أدلته لأن تثبيت المدعى إنما يكون بالدليل. والاعتناء به يقتضي الاعتناء بأدلته، ونجد أن القرآن نبه على

(١) انظر : مفاتيح الغيب، الرازي ، ١٦٩/٧، وانظر التحرير والتنوير، ابن عاشور ،١٦٩/٣.

(٢) سورة الأحزاب : آيه ٥٦

(٣)انظر: روح المعاني، الالوسي ،١٠١/٢.

(٤) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، ٩/٢.

(٥) انظر: نظم الدرر، البقاعي، ٢٩٢/٤.

ذلك من خلال أسمائه وصفاته تعالى الواردة في الآيات [1].

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [2]

فهي آية الكرسي سيدة آي القرآن وأفضلها التي ما اشتمل كتاب على مثلها مفتتحا لها بالاسم العلم الفرد الجامع الذي لم يتسم به غيره[3] ولما اشتملت عليه من الأمور العظيمة والصفات الكريمة لتقرر أصول التوحيد والتنزيه التي تشعر متدبرها بعظم سلطانه تعالى، ووجوب الشكر له، والإذعان لأمره، والوقوف عند حدوده[4].

فبدأ الآية بحسن افتتاح بأجل أسماء الله تعالى، وفيها تكرار اسمه ظاهرا ومضمرا في ثمانية عشر موضعا، وفيها إطناب[5] بتكرير الصفات، وقطع الجمل حيث لم يصلها بحرف العطف لأنها كلها في حكم البيان، وطباق[6] في ما بين

---

(١) انظر: روح المعاني ،الألوسي، ٩٨/٢،.

(٢) سورة البقرة : آيه ٢٥٥

(٣) انظر: نظم الدرر، البقاعي، ٢٧/٤،.

(٤) انظر: رضا، تفسير المنار،٢٠/٣.

الاطناب زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، انظر: البلاغة وفنونها، فضل عباس،٤٩٨ ٥٣

(٦) الطباق هو الجمع بين الشيئين ومقابله أو بين الشيء وضده، وقد يكون الشيئان المجموع بينهما اسمين أو فعلين أو حرفين، انظر: البلاغة وفنونها فضل عباس، (٢٢٨)

أيديهم ومن خلفهم، وعدّ أحمد رحمه الله سبعة عشر موضعا فيها اسم الله تعالى ظاهرا وخفيا، فالظاهر ستة عشر وهي: الله، هو، الحي، القيوم، ضمير لا تأخذه، وضمير ولا يؤده، وهو العلي ، العظيم، وإما الخفي: ما الضمير الذي اشتمل عليه مصدر حفظهما فإنه مصدر مضاف الى المفعول ولا بد له من فاعل هو الله تعالى[١]. فهذه الآية مشتملة على عشرة جمل مستقلة، متعلقة بالذات الإلهية، وفيها تمجيد الواحد الأحد[٢]، فبدأ بمظاهر الجلال الجامع لصفات الجلال والإكرام لأنه من أعظم مقاماته ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي لا معبود بحق سواه سبحانه وتعالى. فهو الإله الحق الذي تتعين أن تكون جميع أنواع العبادة والطاعة والتأله له تعالى، لكماله وكمال صفاته وعظيم نعمه، وفيه تقرير لكمال التوحيد [٣]، فليس في الوجود صاحب سلطة حقيقية على النفوس يبعثها على تعظيمه والخضوع له قهرا منها معتقده أن بيده منح الخير ورفع الضر بتسخير الأسباب وبإبطال السنن الكونية إلا الله[٤] ولما وحد سبحانه وتعالى نفسه الشريفة أثبت استحقاقه لذلك فقال ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ فالحي: ذو الحياة الكاملة المتضمنة بجميع صفات الكمال لم يسبق بعدم ولا يلحقها زوال ولا يعتريها نقص بوجه من الوجوه[٥] فله الحياة وهي صفة توجب صحة العمل والقدرة، أي

---

(١) انظر: التفسير المنير،الزحيلي،٣\١٣

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، ٣٨/١

(٣) انظر: نظم الدرر، البقاعي، ٢٨/٤

(٤) انظر: تفسر المنار، رضا، ٢١/٣.

(٥) انظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين، ص١٣٤

الذي يعلم ويقدر، والقيوم: أي القائم بنفسه المقيم لغيره على الدوام على أعلى ما يكون من القيام والإقامة[1]، والمقصود إثبات الحياة وإبطال استحقاق آلهة المشركين لانتفاء الحياة، وإثبات عموم العلم له سبحانه وتعالى وكمال الحياة[2]، وجاء هذا مؤكدا في قوله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[3] وبذلك علم بأن من هذين الأصلين تتشعب جميع المسائل المعتبره في علم التوحيد، ثم بين وأكد قيوميته وكمال حياته بقوله ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ فالسنة أول النوم ، فنفي استيلاء السنة والنوم على الله تعالى تحقيقا لكمال الحياة ودوام التدبير، وإثبات لكمال العلم، والمقصود أنه سبحانه وتعالى لا يحجب علمه شيء حجبا ضعيفا ولا طويلا ولا غلبة ولا اكتسابا[4] ثم علل سبحانه انفراده بالألوهية فقال: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ فهو تعليل لا تّصافه بالقيومية لأن من كانت جميع الموجودات ملكا له فهو حقيق بأن يكون قيومها وألا يهملها، والمراد من السموات والأرض استغراق أمكنة الموجودات ، فإذا أثبت ملكه للعموم ثبت أنه لا يشذ عن ملكه موجود، فهذه الجملة أفادت تعليم التوحيد بعمومها، وأفادت إبطال عقائد أهل الشرك[5]، فهي لقيوميته واحتجاج

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي ، ٣٠/٤، وقال الفخر: إن الحي ليس عبارة عن صحة العلم والقدرة بل عبارة عن كمال الشيء في جنسه، انظر: مفاتيح الغيب الرازي (١٠/٧).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ، ١٩/٣، وانظر: شرح الطحاوية، ابن ابي العز ٧٧.

(٣) سورة آل عمران: آيه ٢.

(٤) انظر: التحرير والتنوير :ابن عاشور،٢٠/٣.

(٥) انظر: المصدر السابق،٢٢/٣.

بها على تفرده في الألوهية [١]، ومما يدل على ذلك قوله ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ فلا يشفع عنده أحد بحق وإدلال لأن المخلوقات كلها ملكه ، ولكن يشفع عنده من أراد هو أن يظهر كرامته عنده فيأذن له بأن يشفع فيمن أراد هو العفو عنه، وبذلك بطل وصف الألهية عن غيره تعالى، بالمطابقة، وبطل حق الإدلال عليه والشفاعة عنده التي لا ترد بالالتزام، لأن الإدلال من شأن المساوي والمقارب، وهذا إبطال لمعتقد معظم مشركي العرب لأنهم لم يثبتوا لآلهتهم وطواغيتهم ألوهية تامة بل قالوا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [٢] ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[٣]، فأكد هذا المدلول بالصريح [٤]، فلما لم يكن أحد يساويه أو يدانيه يستقل بأن يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا عن أن يعاوقه عنادا أو مناصبة أي مخاصمة، في ذلك بيان لكبرياء شأنه سبحانه وتعالى[٥] ثم بين الله تعالى جميع ما مضى بقوله ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ ﴾ أنه تعالى عالم بسائر أحوال المخلوقات لا يعزب عنه شيء [٦]، ولما بين قهره لهم بعلمه بين عجزهم عن كل شيء من علمه إلا ما أفاض عليهم بعلمه فقال ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ ﴾ لأن من كان شامل العلم ولا يعلم غيره إلا ما علمه

(١) انظر: تفسير المراغي، المراغي ١٢/٣.

(٢) سورة يونس: آية ١٨.

(٣) سورة الزمر: آية ٣.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ،٢٤/٣.

(٥) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، ١٥٣/١.

(٦) انظر: البحر المحيط، أبو حيان،٢\٥٠١.

كان كامل القدرة، فكان كل شيء في قبضته ، فكان منزها عن الكفوء متعاليا عن كل عجز وجهل[1]، وعطفت هذه الجملة على ما قبلها لمغايرتها له لأن ذلك يشعر بأنه سبحانه يعلم كل شيء وهذه تفيد أنه لا يعلمه غيره ومجموعها دال على تفرده تعالى بالعلم الذي هو من أصول صفات الكمال التي يجب أن يتصف الاله تعالى بشأنه بالفعل[2]، ثم جاء بما يدل على كمال عظمته وسعة سلطانه فقال: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ فالكرسي يسع السموات والأرض على عظمتها وعظمة من فيها، والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هناك ماهو أعظم منه وهو العرش وما لا يعلمه إلا هو[3] وقد أمسك سبحانه وتعالى السموات والأرض من غير تعب ولا نصب فلهذا قال ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ ﴾ فلا يثقله حفظ السموات والأرض وخصهما بالذكر دون الكرسي لأن حفظهما هو المشاهد المحسوس[4].

ثم عطف عليها قوله ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ أي وهو المتعالي عن الأنداد والأشباه، العظيم على كل شيء سواه فهو المنزه بعظمته عن الاحتياج الى من يعلمه بحقيقة أحوالهم أو يستتر له عما يريد من مجازاتهم على أعمالهم[5]، ثم

---

(١) انظر : نظم الدرر، البقاعي،٤ /٣٣

(٢) انظر : روح المعاني، الألوسي، ٢/٨.

(٣) انظر: تفسير كلام المنان، السعدي، ١/١١٠، فالكرسي مخلوق عظيم ويضاف إلى الله تعالى لعظمته، ولم يرد في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع، (التحرير والتنوير، ابن عاشور، ،٣/٢٢)

(٤) انظر: روح المعاني ،الألوسي ، ٢/١٣.

(٥) **انظر: تفسير المراغي، المراغي ،٣/١٤ وانظرالتفسير المنير، الزحيلي ١٨/٣، ويقول =**

بالأسماء الحسنى فقال ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[(١)] فبدأ سبحانه وتعالى بلفظ الجلالة الله لبيان صفات الكمال له سبحانه، ثم قال ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ تحقيق للحق وتصريح بما تضمنه من اختصاص الألوهية به سبحانه [(٢)]، فقال ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ الحسنى ﴾ فأسماء الله تعالى كلها حسنى أي بالغة في الحسن غايته لأنها متضمنة من صفات كاملة لا نقص فيهل بوجه من الوجوه[(٣)]، فتقديم الجار والمجرور للاختصاص، أي لا لغيره، لأن غيره إما أن يكون اسمه مجردا من المعاني المدلولة للأسماء مثل الأصنام، وإما أن تكون حقائقها فيه غير بالغة منتهى كمال حقيقتها كاتصاف البشر بالرحمة والملك، وأما أن يكون الاتصاف كذبا لا حقيقة. ووصف الأسماء بالحسنى لأنها داله على حقائق كاملة بالنسبة الى المسمى بها تعالى [(٤)]. فله الأسماء الكثيرة الكاملة الحسنى، ومن حسنها أنها كلها أسماء دالة على المدح فليس فيها اسم لا يدل على المدح والحمد، ومن حسنها أنها ليست أعلاما محضة، إنما هي أسماء وأوصاف، ومن حسنها أنها دالة على الصفات الكاملة، وأن له من كل صفة أكملها وأعمها

= ابن عثيمين، فهو وحده العلي أي ذو العلو المطلق، وهو الارتفاع فوق كل شيء، والعظيم أي ذو العظمة في ذاته وسلطانه وصفاته (تفسير العثيمين الفاتحة والبقرة، ابن عثيمين ، ٢٥٧/٣)

(١) سورة طه : آيه ٨.

(٢) انظر: روح المعاني، الألوسي، ٤٧٦/٨.

(٣) شرح لمعة الاعتقاد، ابن عثيمين، ص ٨

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٩١/١٦.

وأجلها، ومن حسنها أن أمر العباد أن يدعوه بها، لأنها وسيلة مقربة إليه يحبها، ويحب من يحبها ويحب من يحفظها، ويحب من يبحث عن معانيها ويتعبد له بها[1] فقال ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾[2] فلن يكون أحد مسلما إلا بتوحيده؛ فتوحيده فرض وهو أساس كل فريضة، وتوحيد سائر الأسماء والصفات كذلك، فمن وحد في الكل فقد كمل دينه وتمت النعمة عليه، ولن يشهد التوحيد في هذه الكلمة ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ التي مضمونها توحيد اسم الالة احسانا إلا بعد إحصاء جميع الأسماء علما[3]، ثم بين الآيات التي جمعت كلمة التوحيد مع أسمائه وصفاته ومنها قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[4]

تكرر في السورة بشكل عام؛ ذكر اسم الله وضمائره وصفاته أربعين مرة منها أربع وعشرون بذكر اسم الجلالة وست عشرة مرة بذكر ضميره الظاهر، أو صفاته العلية، وكان ما تضمنته السورة دلائل على عظيم قدرة الله وبديع تصرفه وحكمته، وكان مما حوته السورة الاعتبار بعظيم قدرة الله ، وأما في الآيتين الكريمتين في السورتين زيادة في تعريف المؤمنين بعظمته المقتضية للمزيد من

(١) تفسير كلام المنان، السعدي، ١/٥٠٣.

(٢) سورة الأعراف: آيه ١٨٠.

(٣) انظر: تفسير البقاعي، البقاعي، ج٤/٣٣

(٤) سورة الحشر: آيه ٢٢-٢٣.

خشيته، وبالصفات الحسنى الموجبة لمحبته، وزيادة في إرهاب المعاندين المعرضين من صفات بطشه وجبروته، ولذلك ذكر في هذه الآيات الخواتم للسورة من صفاته تعالى ما هو مختلف التعلق والآثار للفريقين حظ ما يليق به منها، وفي غضون ذلك كله دلائل على بطلان إشراكهم به أصنامهم[١].

فبدأ بضمير دون ذكر اسمه تعالى لأن المقصود الأخبار عن الضمير بـ ﴿ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وما بعدها من الصفات العلية، والجمع بين الضمير واسم الجلالة ليقتضي الاعتبار بجمع صفات الكمال له سبحانه وتعالى فبدأ بأعظم الصفات ﴿ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وهي صفات الوحدانية لأنها الأصل، وذلك لكماله العظيم وإحسانه الشامل، وتدبيره العام [٢]، وأنه ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي يعلم جميع الكائنات والمشاهدات لنا والغائبات عنا فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء من جليل وحقير وصغير وكبير فلا تنبغي العبادة والألوهية إلّا له، عالم غيب السموات والأرض [٣]، فعلم الله تعالى هو العلم الواجب وهو يقتضي جميع الصفات، وذكر معه علم الشهادة للاحتراس حتى لا يتوهم أنه يعلم الحقائق العالية الكلية فقط، وذلك مما لا يشاركه فيه غيره.

وفي ذكر الغيب إيماء إلى الذين قصروا أنفسهم على المشاهدات وكفروا بالمغيبات كالبعث والجزاء، وأما الشهادة أي يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء من جميل

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١١٧/٢٨.

(٢) انظر: تفسير كلام المنان، السعدي، ١\٨٥٤.

(٣) جامع البيان، الطبري، ٣٠٢/٢٣، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٠٧/٨

وحقير وصغير وكبير[١].

وضمير ﴿ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ فصل يفيد قصر الرحمة عليه تعالى[٢] فقال تعالى: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ ثم كرر التوحيد مرة أخرى لأن المقام مقام تعظيم فقال ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ كرر لإبراز كمال الاعتناء بأمر التوحيد[٣]، ثم التقرير يكون التوحيد حقيقا بذلك فقال ﴿ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ﴾ أي الطاهر من كل عيب المنزه من كل نقص والتعظيم لله في أوصافه وجلاله[٤] ثم بين أنه ﴿ ٱلسَّلَٰمُ ﴾ وصف به مبالغة في كونه سليما من النقائص، وفي ذلك إشارة إلى أنه لا يطرأ عليه شيء من العيوب في الزمان المستقبل، فإن الذي يطرأ عليه شيء من العيوب فإنه تزول سلامته ولا يبقى سليما[٥]، ثم قال ﴿ ٱلۡمُؤۡمِنُ ﴾ أي جعل غيره آمنا، فالله هو الذي جعل الأمان في غالب أحوال الموجودات، إذ خلق نظام المخلوقات بعيدا عن الأخطار والمصائب[٦]، ولما كان ذلك كل ذلك يحتاج إلى مزيد علم قال ﴿ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ﴾ القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم وإنما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه وحفظه. فالاستيلاء يرجع إلى كمال القدرة، والحفظ يرجع الى الفعل، والجامع بين هذه المعاني اسمه ﴿ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ﴾

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير٨/١٠٧، تفسير المراغي، وانظر: المراغي، ٢٨/٥٨.

(٢) سورة الأعراف: آيه ١٥٦.

(٣) روح المعاني، انظر الألوسي، ١٤/٢٥٦.

(٤) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ٥/٢٤٦.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٩/٥١٣

(٦) انظر: تفسير كلام المنان، السعدي، ١/٨٥٧.

ولن يجتمع على ذلك الكمال والإطلاق إلا الله عز وجل، وتعقيب المؤمن بالمهيمن لرفع توهم أن تأمينه عن ضعف أو عن مخافة غيره، بل كان لحكمه وتأمينه إياهم رحمة بهم[١]، ولما كان ما سبق من الهيمنة ملزما لتمام القدرة، صرح بهذا اللازم فقال ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ والعزة غلبه لا يجد معها المغلوب وجه مدافعة ولا انفلات ولا إعجاز فالعزيز الذي صعب على طالبه إدراكه مع افتقار كل شيء إليه في كل لحظة، الشديد في انتقامه الذي لا معجز له في إنفاذ حكمه[٢]، ولما كان المغلوب على الشيء فيؤخذ من يده قد لا ينقاد باطنا فلا يباشر ما غلب عليه للغالب وقد لا يكون العز ظاهرا لكل أحد، أردفه بقوله ﴿ٱلۡجَبَّارُ﴾ الذي قهر جميع العباد.

وأذعن له سائر الخلق فإذا أراد أمرا سبحانه وتعالى فلا يحجزه عنه حاجز[٣] ثم ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ﴾ الدال على أنه ذو كبرياء يصغر كل شيء دون كبريائه، فهو بليغ الكبرياء والعظمة لأنه سبحانه بريء من التكلف الذي تؤذن به الصيغة فيرجع الى لازمه من أن الفعل الصادر عن تأنق أقوى وأبلغ [٤] فله سبحانه وتعالى جميع أنواع العلو الكبرياء، ولهذا السبب لما ذكر هذا الاسم قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ كأنه قيل إن المخلوقين قد يتكبرون ويدعون مشاركة الله في هذا الوصف، لكنه سبحانه منزه من التكبر الذي هو حاصل

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٢٢/٢٨

(٢) انظر: نظم الدرر، البقاعي١٩/٤٧٢.

(٣) انظر: معالم التنزيل، البغوي،٥/٦٦.

(٤) انظر: روح المعاني، الألوسي، ١٤/٢٤٩.

للخلق لأنهم ناقصون بحسب ذواتهم فادعاؤهم الكبر يكون ضم نقصان الكذب إلى النقصان الذاتي، أما الحق سبحانه وتعالى فله العلو والعزة فإذا أظهره كان ذلك كمال إلى كمال[1].

ثم بين سبحانه وتعالى قضيتين في غاية الأهمية للعباد في الاهتمام بالتوحيد الخالص الأولى في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾[2] فيخبر سبحانه وتعالى عن انفراده بالوحدانية وأنه لا معبود ولا مألوه إلا هو لكماله في ذاته وأوصافه ولكونه المنفرد بالخلق والتدبير، والنعم الظاهرة والباطنة فيستلزم ذلك الأمر بعبادته والتقرب إليه بجميع أنواع العبودية ، فيجمع أولكم وأخركم في مقام واحد، في ﴿ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ﴾ أي لا شك فيه ولا شبهة بوجه من الوجوه، بالدليل العقلي، والدليل السمعي، فالدليل العقلي ما نشاهده من إحياء الأرض بعد موتها،ومن وجود النشأة الأولى التي وقوع الثانية أولى منها بالإمكان، ومن الحكمة التي تجزم بأن الله لم يخلق خلقه عبثا، وأما الدليل السمعي فهو إخبار أصدق الصادقين بذلك، بل إقسامه عليه ولهذا قال[3] ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾، فلا أحد أكثر صدقا منه تعالى في وعده بسائر الأخبار، إذ كلامه عن علم محيط بسائر الكائنات فلا يتصور أن يكون خبره غير صادق بسبب النقص

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٥١٣/٢٩، روح المعاني، الالوسي، ٢٥٠/١٤

(٢) سورة النساء: آيه ٨٧.

(٣) انظر: تفسير كلام المنان، السعدي ،١٩١/١.

في العلم أو الغرض أو الحاجة لأنه تعالى غني عن العالمين [١].

والقضية الثانية التي تتعلق بالتوحيد الخالص في قوله تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾[٢] المذكور بعد التوحيد والإيمان البعث المستلزم للإيمان بما سواهما والإقبال على الله تعالى، فذكر ستة صفات كلها توجب التوحيد لأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، فغافر الذنب وقابل التوب وشديد العقاب، وذي الطول كلها صفات للاسم الجليل[٣]، وصف بها نفسه تعالى بما في ذلك من الوعد والوعيد والترغيب والترهيب وفي مجموع ذلك كله من الصفات الجليلة الحث على فعل المراد من تنزيل الكتاب وهو التوحيد والإيمان بالبعث والإخلاص لله في العمل والإقبال عليه، فهو غافر الذنب الذي سلف لأوليائه، سواء أكان صغيرة أم كبيرة بعد التوبة أو قبل التوبة بمشيئته، وقال غافر الذنب وليس الذنوب، حتى يكون الحديث على فعله تعالى، وقابل التوبة المخلصة، وشديد العقاب لأعدائه وذو التفضيل والأنعام والسعة والغنى، ينعم بمحض إحسانه تعالى، وهو الإله الواحد الذي لا شريك له ولا ند ولا صاحبة ولا ولد: وإليه المرجع والمآب في اليوم الآخر لا إلى غيره[٤]، فهذه الآية مشعرة بترجيح جانب الرحمة والفضل، لأنه تعالى لما أراد أن يصف نفسه بأنه

(١) انظر: تفسير المراغي، المراغي ، ١١٢/٥.

(٢) سورة غافر: آيه ٣.

(٣) انظر البحر المحيط، أبو حيان،٢٣١/٩، وانظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٥٤٧/٤، وانظر: تفسير المراغي، المراغي، ٤٢/٢٤.

(٤) انظر: التفسير المنير، الزحيلي،٧٥/٢.

شديد العقاب ذكر قبله أمرين كل واحد منهما يقتضي زوال العقاب، وهو كونه غافر الذنب وقابل التوبة وذكر بعدها ما يدل على حصول الرحمة العظيمة وهو ﴿ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾ فكونه شديد العقاب لما كان مسبوقا بتينك الصفتين وملحوقا بهذه الصفة ، دل ذلك على أن جانب الرحمة والكرم أرجح ، ويلحظ أنه ذكر الواو في ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ ﴾ ولم يذكرها في﴿ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾، لأنه لو لم يذكر الواو في الأولى لاحتمال أن يقع في خاطر إنسان أنه لا معنى لكونه غافر الذنب إلا لكونه قابل التوبة ، أما لما ذكر الواو زال هذا الاحتمال، لأن عطف الشيء على نفسه محال، أما كونه شديد العقاب فمعلوم أنه مغاير .

فالتوحيد المطلق له سبحانه ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ ﴾ والمعنى أنه وصف نفسه بصفات الرحمة والفضل، فلو كان معه إله آخر يشاركه ويساويه في صفة الرحمة والفضل لما كانت الحاجة إلى عبوديته شديدة، أما إذا كان واحدا وليس له شريك ولا شبيه كانت الحاجة إلى الإقرار بعبوديته شديدة، فكان الترغيب والترهيب الكاملان يحصلان بسبب هذا التوحيد[1].

ثانيا : الاستدلال بقصص الأنبياء في القرآن الكريم:

ذكرت كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) في قصص الأنبياء عند المواقف المهمة في حياتهم، لتبين أنّ مهمة الرسالات كلها جاءت لتقرير التوحيد الخالص، وهذا يحتاج الى صبر وتحمل وفي الوقت نفسه هو ردع للكفار ولأعداء الإسلام الذين أعرضوا عن توحيد الله وحاربوا الإسلام.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي٢٧/٤٨٤، وانظر: فتح القدير، الشوكاني٤١/٥٥٢، وانظر: التحرير والتنوير، وابن عاشور،٢٤/٨٠.

١- محمد – صلى الله عليه وسلم:

خاطب الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأنه مبعوث للناس جميعا، وأن رسالته جاءت بدعوة التوحيد فقال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ ﴾[1].

أي: قل يا محمد للناس كلهم إني رسول الله إليكم جميعا لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان قبلي من الرسل، مرسلا إلى بعض الناس دون بعض ولكنها إلى جميعكم فهو أول نداء نادى به في مكة بهذه الآية[2]، والمقصود من ذكر هذه الأوصاف الثلاثة : تذكير اليهود ووعظهم حيث جحدوا نبوة محمد– صلى الله عليه وسلم–وزعموا أن لا رسول بعد موسى، واستعظموا دعوة محمد– صلى الله عليه وسلم– فكانوا يعتقدون ان موسى لا يشبهه رسول، فذكّروا بأن الله مالك السموات والأرض وهو واهب الفضائل، فلا يستعظم أن يرسل رسولا ثم يرسل رسولا آخر لأن الملك بيده، وبأن الله هو الذي لا يشابهه احد في ألوهيته فلا يكون إلهان للخلق، وأما مرتبة الرسالة فهي قابلة للتعدد[3]، ولتأكيد ضمير المخاطبين بقوله ﴿جَمِيعًا ﴾ الدال نصا على العموم لرفع احتمال تخصيص رسالته لغير بني اسرائيل، وفي الآية رد أيضا على اليهود الذين زعموا بأن محمدا– صلى الله عليه وسلم– للعرب خاصة، وقال تعالى﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا

---

(١) سورة الأعراف: آيه ١٥٨.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٤/١٧٠، وانظر: بحر العلوم، السمرقندي، ١/٥٥٧.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٨/٣٢٠

﴿ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[1] وقوله: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾[2]، عن جابر بن عبد الله– رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم: أعطيت خمسا لم يعطهن من الأنبياء أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، أيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث الى قومه خاصه، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة[3].

ثم وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بتوحيد الربوبية وتوحيد الإلهية وبالإحياء، والإماتة ، فقال ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ فلما قال ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ دل على الثناء وفيه رد على المشركين، وجملة ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ حال من اسم الجلالة في قوة منفردا بالإلهية، وهذا قصر حقيقي لتحقيق صفة الوحدانية. فمن يحق له التصرف في السموات والأرض وتدبير العالم كله، إذ وحدة النظام في جملة المخلوقات وعدم التفاوت فيها دليل على وحدة مصدرها وتدبيرها، فهو المعبود وحده لا إله إلا هو، وتوحيد الربوبية بالإيمان وتوحيد الألوهية بالإيمان، والعمل، أي بعبادة الله وحده هما أصل الدين والركن الأول في العقيدة، والركن الثاني الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، والركن الثالث عقيدة البعث بعد الموت وهي تتضمن

---

(١) سورة الفرقان: آيه ١٠٥.

(٢) سورة الأنعام: آيه ١٩.

(٣) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الصلاة، باب قول النبي–صلى الله عليه وسلم: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، رقم الحديث (٤٣٨)،١\٤٤٨.

الإحياء والإماتة وتصرف الرب في خلقه [١] وقد انتظم أن يفرع على هذه الصفات الثلاث الطلب الجازم بالإيمان بهذا الرسول بقوله ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ﴾ والمقصود طلب الإيمان بالنبي الأمي، لأنه الذي سبق الكلام لأجله، ولكن لما صدر الأمر بخطاب جميع البشر وكان فيهم من لا يؤمن بالله.

وفيهم من يؤمن بالله ولا يؤمن بالنبي الأمي جمع بين الإيمان بالله والإيمان بالنبي الأمي في طلب واحد، ليكون هذا الطلب متوجها للفرق كلهم، ليجمعوا في إيمانهم بين الإيمان بالله والنبي الأمي، مع قضاء حق التأدب مع الله بجعل الإيمان به مقدما على طلب الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم، للإشارة الى أن الإيمان بالرسول أنما هو لأجل الإيمان بالله، فقال: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ أي واسلكوا طريقه، واقتفوا أثره في كل ما يأتي وما يذر من أمور الدين رجاء اهتدائكم بالإيمان وبإتباعه إلى ما فيه سعادتكم في الدنيا والآخرة وتلك هي الثمرة التي تجنى منها، فما آمن قوم بنبي إلا كانوا بعد الإيمان به خيرا مما كانوا قبله من العزة والكرامة في دنياهم وسعادتهم في آخرتهم نيل رضوان ربهم، وبالخطوة بالقرب منه[٢].

لقد أمر الله سبحانه وتعالى بالعلم فقال تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [٣] هذا العلم

(١) انظر: تفسير المراغي، المراغي ٩٠/٨٥

(٢) انظر: التحرير والتنوير ابن عاشور ،٩/١٤١،وانظر، تفسير المراغي، المراغي٩/٨٩، التفسير المنير، وانظر الزحيلي ، ٩/١٢٨.

(٣) سورة محمد : آية ١٩

الذي أمر الله به – وهو العلم بتوحيد الله – فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا هو أمور:

أحدها: بل أعظمها تدبر أسمائه وصفاته.

الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم أنه المنفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة "الدينية والدنيوية"

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله، وأنها ناقصة من جميع الوجوه.

السادس: اتفاق كتب الله على ذلك.

السابع: أن خواص الخلق وهم الأنبياء والرسل والعلماء قد شهدوا بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة إنما أودع فيها من لطائف صنعه، وبديع حكمه، وغرائب خلقه، وأما الأمر بالاستغفار فهو لطلب تجديد ذلك إن كان قد علمه صلى الله عليه وسلم من قبل وتحميله، أو هو لطلب تحصيله إن لم يكن فعله من قبل، وذكر المؤمنات بعد المؤمنين للاهتمام بهن في هذا المقام، وإلا فإن الغالب اكتفاء القرآن بذكر المؤمنين وشموله للمؤمنات، لأن الله يعلم أحوالكم جميعا وقدر لها جزاءها على حسب علمه بمرتبتها[1].

---

(١)انظر: تفسير كلام المنان، السعدي١/٧٨٧.وانظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٦/٤٠٥.

ثم أراد سبحانه وتعالى تحقيق مقام النبي – صلى الله عليه وسلم– عند قومه فأمره الله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[١] فقل يا محمد إنما أنا منذر، ولا بد من الإقرار بأنه ما من إله إلا الله الواحد القهار، وكلمة التوحيد إشارة إلى الدليل الدال على كونه منزها عن الشريك والنظير، وفيها إيماء إلى رد إنكارهم، وجاء ذكر صفة القهار تعريضا بتهديد المشركين بأن الله قادر على قهرهم وغلبتهم[٢].

وبين سبحانه وتعالى أنه مثلما أرسل الله رسلا في الأمم الماضية، أرسلناك يا محمد في هذه الأمة لتبلغهم رسالة الله إليهم فقال ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾[٣] أي: مثلما أرسلنا رسلا في الأمم الماضية، أرسلناك يا محمد في هذه الأمة لتبلغهم رسالة الله إليهم، وما أوحيناه إليك، وقد كُذِّبَ الرسل من قبلك، فلك بهم أسوة وكما أوقعنا بأسنا ونقمتنا بأولئك، فليحذر هؤلاء من حلول النقم بهم، وإننا أرسلناك بكتاب تبلغه للناس وتقرؤه عليهم، فلما كذب الرسل أنظر كيف نصرناهم وجعلنا العاقبة لهم ولأتباعهم في الدنيا والآخرة، ولما كانت الأمة التي بعثناك فيهم يكفرون بالرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء لا يقرون به ولا يشكرون نعمه وفضله وقالوا : إن له شريكا، قل لهم هو الله الذي لا إله إلا هو. فالرحمن أنا مؤمن به ومعترف، ومقر له بالربوبية

(١) سورة ص: آيه ٦٥.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٦/٤٠٧.

(٣) سورة الرعد: آيه ٣٠

والألوهية ، فهو متولي أمري وخالقي، وهو ربي لا إله إلا هو لا رب غيره ولا معبود سواه. فعليه توكلت في جميع أموري وفوضتها إليه ووثقت به. وإليه أرجع وأنيب، فإنه لا يستحق ذلك أحد سواه[1].

وبين سبحانه وتعالى أن التوحيد هو قاعدة العقيدة منذ أن بعث الله الرسل للناس ، لا تبديل فيها ولا تحويل ، فقال تعالى﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[2]، أخبر أنه ما أرسل من رسول إلا جاء مقرراً لتوحيد الله وإفراده بالألوهية والأمر بالعبادة، فما كان ﴿ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ ﴾ فجمع على المعنى(فَٱعۡبُدُونِ) ولم يأت التركيب فاعبدني، ويحتمل أن يكون الأمر له ولأمته، وهذه العقيدة من توحيد الله لم تختلف فيها النبوات وإنما وقع الاختلاف في أشياء من الأحكام [3].

ولما كثر كلام الكفار في الإساءة للنبي صلى الله عليه وسلم أمره سبحانه وتعالى﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[4] بقوله تعالى أمرا لرسوله صلى الله عليه وسلم ولمن اتبع طريقته اقتدى به واقتفى أثره فإن ما أوحي إليك من ربك هو الحق الذي لا مرية فيه لأنه لا إله إلا هو، فاتباع

---

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي،١٣\١٧١.

(٢) سورة الأنبياء: آيه ٢٥.

(٣) انظر: البحر المحيط، أبو حيان ٤٣٢/٧، وقال البيضاوي: إنّ الآية تفيد تعميماً بعد تخصيص فإن(ذكر من قبلي) من حيث إنه خبر لاسم الإشارة مخصوص بالموجود بين أظهرهم وهو الكتب الثلاثة(انظر أنوار التنزيل، البيضاوي، ٢٥/٤).

(٤) سورة الأنعام: آيه ١٠٦.

الرسول صلى الله عليه وسلم ما أوحى إليه أمر واقع بجميع معانيه، فالمقصود من الأمر الدوام على اتباعه، وجاء بكلمة التوحيد لأن المقصود منها إدماج التذكير بالوحدانية لزيادة تقررها وإغاظة للمشركين ، والمراد بالأعراض عنهم ترك مقابلتهم فيما يأتونه من سفه، وأن يعدل صلوات الله عليه إلى الطريق الذي يكون أقرب إلى القبول وأبعد عن التنفير والتغليظ(١).

ثم بيَّن سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بأنه لا معبود بحق إلا الله تعالى فقال ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾(٢).

قال البيضاوي: وهذا وما قبله للتهييج وقطع أطماع المشركين عن مساعدته لهم(٣)**، وهذا وإن كان واجبا على الكل إلا أنه تعالى خاطبه به خصوصا لأجل التعظيم.**

ثم بين صفاته تعالى (كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ) أي أن كل شيء يفنى وتبقى ذاته المقدسة، قال ابن كثير الدائم الباقي، الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولا يموت، هو الدائم الباقي الحي القيوم الذي لا يموت إذا ماتت الخلائق،" وأجمع أهل السلف على إثبات الوجه لله تعالى، فيجب إثباته له بدون تحريف وتعطيل وتكييف وتمثيل وهو وجه حقيقي يليق بالله تعالى(٤) **و(لَهُ**

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير٣/٢٨٢،وانظر، مفاتيح الغيب، الرازي٣/١٠٨

(٢) سورة القصص: آيه ١١٣

(٣) أنوار التنزيل، البيضاوي ٢/٩٦

(٤)شرح لمعة الاعتقاد، ابن عثيمين،ص٢٥

ٱلْحُكْمُ) أي له الملك والتصرف والقضاء النافذ في الخلق، و(وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يوم معادكم فيجزيكم بأعمالكم إن خيرا فخيرا، وإن شرا فشرا[1] ، ثم جاء التذكير من الله تعالى فقال﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[2] فمن آمن بأن الله لا إله إلا هو كان حقا عليه أن يطيعه وأن لا يعبأ بما يصيبه في جانب طاعة الله من مصائب وأذى، وابتدأ كلمة التوحيد بلفظ الجلالة الله لإستحضار عظمة الله تعالى بما يحويه اسم الجلالة من معاني الكمال، وتقديم الجار والمجرور

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ لإفادة الاختصاص أي أن المؤمنين لا يتوكلون إلا على الله وجيء في ذلك بصيغة أمر المؤمنين بالتوكل على الله دون غيره ربطا على قلوبهم وتثبيتا لنفوسهم كيلا يأسفوا من إعراض المشركين وما يصيبهم منهم وأن ذلك لن يضرهم ، فإن المؤمنين لا يعتزون بهم ولا يتقوون بأمثالهم، لأن الله أمرهم أن لا يتوكلوا إلا عليه [3].

ثم ذكر أن إجرامهم قد بلغ الغاية وجاوز النهاية فقال:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[4]، فأخبر أن من استكبر عن توحيد الإله، لا بد له من العذاب، فكلما دعوا إلى كلمة التوحيد، استكبروا عن القبول، وأعرضوا

---

(١) انظر: الألوسي، روح المعاني، ٣٣٢/١٠.

(٢) سورة التغابن: آيه ١٣.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٨٢/٢٨.

(٤) سورة الصافات: آية ٣٥.

عن قولها كما يقولها المؤمنون [١].

فإذا اتضح عجزهم عن معارضة ما دعوا إليه، فيتبين أنه سبحانه وتعالى هو المختص بالألوهية والتوحيد فلا يشركه في شيء منها آلهتم وأصنامهم، فلا يمكن أن يجيبوا لظهور عجزهم قال تعالى ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[٢] أي فإن لم يأتوا بمعارضة ما دعوتموهم إليه، ولم تتهيأ لهم فقد قامت عليهم الحجة، إذ هم أهل اللسان البلغاء وأصحاب الألسن الفصحاء، فاعلموا أنهم عاجزون عن ذلك، وأن القرآن نزل من عند الله، وبما لا يعلمه إلا الله من نظم معجز للخلق، وأخبار بغيوب لا سبيل لمعرفتها، وتشريع بأمره ونهيه لا يبلغون مستواه، وجاء ضمير لكم بصيغة الجمع لأنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، وأعلموا أنه لا إله معبود بحق إلا الله عز وجل، فهل أنتم بعد ذلك مسلمون، ومؤمنون بالله وبهذا القرآن وبما تضمنه من عقائد ووعد ووعيد وأخلاق وآداب ونظام شامل للحياة، وهذا يدل على أن الخطاب للكفار. ومعنى ذلك أنه بعد ظهور الدليل القاطع على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن، فلا يكون كفرهم إلا مجرد عناد وإعراض واستكبار[٣].

وإذا أعرض الكفار بعد النعم التي منّ الله بها عليهم : أمر تعالى نبيه

(١) البحر المحيط، ابو حيان، ١٢٨/٦٠. انظر: نظم الدرر، البقاعي ٢٢٦/١٦، وانظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٨٣/٢٣

(٢) سورة هود: آيه ١٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٢/٩

صلى الله عليه وسلم فقال ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾[1] إن الكفار لو أعرضوا ولم يقبلوا هذه التكليف ، لم يدخل في قلب الرسول حزن ولا أسف، لأن الله حسبه وكافيه في نصره على الأعداء و (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ) إستئناف للتدليل على نصره له وهو الكافي المعين، وفي ذلك ثناء بالوحدانية ، (وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ) والسبب في تخصيصه للعرش بالذكر أنه كلما كانت الآثار أعظم وأكرم كان ظهور جلالة المؤثر في العقل والخاطر أعظم، ولما كان أعظم الأجسام هو العرش كان المقصود من ذكره تعظيم جلال الله سبحانه[2].

٢- موسى عليه السلام:

بين الله عز وجل انّ موسى عليه السلام مرَّ بمحنة شديدة وابتلاء عظيم، وقصته عجيبة غريبة، وذلك حين قضى الأجل وسار بأهله من مدين يريد مصر، وكان قد أخطأ الطريق وكانت ليلة مظلمة شاتية فجعل يقدح بالزناد فلا يخرج منها شرر، فبينما هو كذلك إذ بصر بنار من بعيد على يسار الطريق، فلما رآها ظنها نارا وكانت من نور الله تعالى فلما أتى النار وجدها ناراً بيضاء تتقّد في شجرة خضراء وناداه ربّه يا موسى: لقد جاءك أمر عظيم هائل فتأهب له، واجعل كل عقلك وخاطرك مصروفاً إليه، إنه توحيد الله عز وجل ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ

(١) سورة التوبة :آيه ١٢٩.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي:١٧٩/١٦، روح المعاني، الالوسي،٣٢/٦.

أَنَا فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ [١] والعبادة تجمع معنى العمل الدال على التعظيم من قول وفعل وإخلاص بالقلب، ووجه التفريع أن انفراده بالالهيته يقتضي استحقاقه أن يعبد، وذلك لأن الألوهيه الواحدة قوام العقيدة، ونداء الله لموسى عليه السلام، يؤكدها بكل المؤكدات: بالأثبات المؤكد (إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ) : (لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا) فالأولى لإثبات الألوهيه لله، والثانية لنفيها عن سواه. وعلى الألوهيه تترتب العبادة، والعبادة تشمل التوجه لله في كل نشاط الحياة، ولكنه يختص بالذكر منها الصلاة (وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ) لأن الصلاة أكمل صورة من صور العبادة، وهي أفضل أركان الدين بعد التوحيد، وأكمل وسيلة من وسائل الذكر [٢]، ثم بدأ موسى عليه السلام يدعو قومه ويرشدهم إلى توحيد الله عز وجل فقال تعالى﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴾[٣] وبين جل وعلا قبل هذه الآية أن العجل الذي صنعه السامري من حلي القبط لا يمكن أن يكون إلها ، وإنما معبودكم المستحق للعبادة هو الله الذي لا رب سواه، وقال (إِنَّمَآ) واقتصر منها على الوحدانية وعموم العلم لأن الوحدانية تجمع جميع الصفات[٤].

وأما عموم العلم فهو إشارة الى علم الله تعالى بجميع الكائنات الشاملة

(١) سورة طه: آيه ١٤.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٠٢/١٦، ظلال القرآن، قطب، ٢٣٢/١٦.

(٣) سورة طه: آيه٩٨

(٤) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي،٩١/٤.

لأعمالهم ليرقبوه في خاصتهم[1]. كما وضرب الله نموذجا حقيقاً وواقعيا لمن آمن بتوحيده، وآخر لمن كفر بتوحيده فقال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[2] فذكر سبحانه وتعالى خاتمة القصة وهو ما كان من تأييد الله لموسى وأخيه على ضعفهما وقوة فرعون وقومه، فجاوز بنو إسرائيل البحر لمعونته تعالى وقدرته وحفظه وكان آية من آياته لنبيه موسى عليه السلام بفرقه تعالى بهم البحر وانفلاقه لهم، فلحقهم فرعون وجنوده ظالمين عادين عليهم ، ليفتكوا بهم أو يعيدوهم ليسوموهم سوء العذاب ويجعلونهم عبيدا لهم، وخاض البحر حتى أشرف على الغرق قال آمنت أنه لا إله بحق إلا الرب الذي آمنت به جماعة بني اسرائيل بدعوة موسى، وكرر المعنى الواحد بثلاث عبارات حرصاً منه على القبول إلى النجاة، ولكن هيهات فقد فات الوقت وجاء الأيمان حين اليأس.

وبين الرازي[3] سبب عدم قبول إيمانه؛ أنه آمن عند نزول العذاب، والإيمان في هذا الوقت غير مقبول.

٣- عيسى عليه السلام :

في قصة عيسى عليه السلام يقرر الله تعالى؛ حقيقة الوحي، وحقيقة القصص الحق الذي لا شك فيه، وحقيقة الوحدانية، كل ذاك يتم تقريره من

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٧٧/٢٦، وانظر :المنار، رضا،٣٨٨/١١.

(٢) سورة يونس: آيه ٩٠

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٩٧/١٧ ،وانظر تفسير المراغي، المراغي، ١٥١/١١.

الآيات القرآنية الكريمة.

فقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١)، فإن القرآن الكريم يستوفي الحكم على سائر مقولاتهم الكافرة فقال (لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ) والصحيح أنها أنزلت في النصارى خاصة، الذين زعموا أن الله ثالث ثلاثة : الله وعيسى ومريم : وهذا أكبر دليل على قلة عقول النصارى، كيف قبلوا هذه المقالة الشنعاء، والعقيدة القبيحة، كيف اشتبه عليهم الخالق بالمخلوقين، كيف خفى عليهم رب العالمين، فكان الرد من الله تعالى (وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ) متصف بكل صفة كمال، متنزه عن كل نقص، منفرد بالخلق والتدبير، وتعين الواحد؛ لأن القصد إبطال عقيدة التثليث، فقال تعالى: (وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فإن لم يجتنبوا ويتركوا ما يقولون من هذا الافتراء والكذب وادعاء التثليث ويعودوا إلى القول بالتوحيد فإنه سيمسهم عذاب شديد مؤلم في الآخرة بسبب كفرهم (٢).

ثم وصف الله تعالى النصارى بضرب آخر من الشرك فقال ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾(٣)،

(١) سورة المائدة: آيه ٧٣.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير١٤٣/٣، وانظر: روح المعاني، الألوسي٣٦٢/٣.

(٣) سورة التوبة: آيه ٣١.

أي أن اليهود والنصارى اتخذوا أحبارهم رؤوساء الدين أرباباً من دون الله، يقومون بحق التشريع، فيحلون الحرام، ويحرمون الحلال، ويطيعونهم في ذلك، تاركين حكم الله، ويوضح ذلك قصة إسلام عدي بن حاتم ، أنه لما بلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشام. وكان قد تنصر في الجاهلية، فأتت أخته وجماعة من قومه ، ثم من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أخته وأعطاها، فرجعت إلى أخيها، فرغبته في الإسلام، وفي القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم عدي إلى المدينة، وكان رئيسا في قومه طيء، وأبوه حاتم الطائي، فتحدث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنق عدي صليب من فضه، وهو يقرأ هذه الأية (ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ) قال ، فقلت : إنهم لم يعبدونهم : فقال : بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام ، فاتبعوهم فتلك عبادتهم إياهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عدي ما تقول : أيضرك أن يقال: الله أكبر ؟ فهل تعلم شيئا أكبر من الله ؟ ما يضرك أيضرك أن يقال: لا إله الا الله، فهل تعلم إلهاً غير الله ؟ ثم دعاه إلى الإسلام، فأسلم وشهد شهادة الحق، قال: فلقد رأيت وجهه أستبشر ثم قال: إن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون[1]، لأنهم خالفوا أوامر الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: (وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا

(١) رواه الترمذي، الجامع الصحيح، باب تفسير القرآن سورة التوبة، رقم الحديث(٣٠٩٥)، قال أبو عيسى هذا حديث غليب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بالحرب وغطيف بالأعين، ليست بمعروف بالحديث، وقال الشيخ الألباني: حسن،٢٧٨/٥، وانظر جامع البيان ،الطبري، ٣٥٩/١١.

﴿لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ فإنهم ما أمروا على لسان موسى وعيسى إلا ليعبدوا إلهاً واحداً، وهو الذي شرع لهم أحكام الدين، وهو ربهم ورب كل شيء ، فهو الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام، وما حلله فهو الحلال، ثم قال مقرراً للتوحيد ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ فتخصيص العبادة به تعالى لا يتحقق إلا بتخصيص الطاعة وكمال تخصيص الطاعة في توحيده عز وجل، ثم نزه نفسه سبحانه وتعالى فقال ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ أي تنزيه عن الأشراك به في العبادة والطاعة [1] .

ثم عظم ونزه سبحانه وتعالى نفسه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله فقال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [2].

ثم بين سبحانه وتعالى أن المذكور في شأن عيسى عليه السلام فقال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[3]، فأخبر عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم؛ أن هذا الذي أنبأتك به من أمر عيسى أنه عبدي ورسولي وكلمتي ألقيتها إلى مريم وروح مني لهو القصص الحق،وقوله ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ تأكيد لحقيقة هذا القصص ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ فيه إشارة إلى الجواب عن شبهات النصارى، لأنه ليس هناك إلا الله العزيز الذي لا يغلبه أحد ، والحكيم: أي ذو الحكمة الذي

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي ٢٦٢/٥.

(٢) سوره طه: آيه ١١.

(٣) سورة آل عمران: آيه ٦٢

يضع كل شيء في موضعه الصحيح المناسب له [1].

٤- يونس عليه السلام :

بين القرآن الكريم قصة يونس عليه السلام فقال تعالى ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [2] والنون هو الحوتُ نُسب إليه لأنه التقمه حين خرج من بلده مغاضباً لقومه، إذ كان يدعوهم الى الإيمان فيكفرون حتى أصابه ضجرهم فخرج عنهم قال الرازي: لا يجوز صرف المغاضبة الى الله تعالى لأن ذلك صفة من يجهل كون الله مالكاً للأمر والنهي، والجاهلُ بالله لا يكون مؤمناً فضلاً عن أن يكون نبياً، ومغاضبتُه لقومه كانت غضباً لله، وأنفةً له، وبغضاً للكفر وأهله فالذي يفرّج ويزيل الغم الدعاء بلا إله إلا الله[3]، ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فنجاه الله من الغم وقال- صلى الله عليه وسلم: (ألا أخبركم أو أحدثكم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من الدنيا دعا به فرج عنه)فقيل له بلى: قال:" دعاء ذي النون لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)[4].

(١) انظر: جامع البيان، الطبري٥/١٨٦،وانظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور،٣/٢٦٧.

(٢) سورة الأنبياء: آيه ٨٧.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٧/٣٢١، وانظر: تفسير القران العظيم، ابن كثير٣/١٦٧

(٤) رواه النسائي، السنن الكبرى، باب دعوة ذي النون، رقم الحديث(١٠٤٩١)، ٦\١٦٨، وقال عنه الشيخ الألباني: حديث صحيح (انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، رقم الحديث(٢٦٠٥)، ١/٥٠٨).

٥- سليمان عليه السلام:

ذكر القرآن الكريم قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد، وفي القصة إشارة الى أن الطير تعلم أن الله تعالى هو المتفرد بالعظمة والجلال رب العرش الكريم المستحق للعبادة والسجود تعقيبا على صنع ملكة سبأ وقومها، فقال تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[١] فالهدهد يقف موقف الرجل العنيد فلما وقف أمام سليمان عليه السلام، يحدث الحدث بأن ملك بلقيس وعرشها ماكان حقيقياً بل غرّها إعراضها عن عبادة الله، وبين بعد ذلك أن الملك العظيم لله عز وجل [٢].

ثالثاً : الاستدلال بالمخلوقات:

مخلوقات الله تعالى هي حجج ساطعة وبراهين قاطعة تدل على وحداينة الله تعالى وأن لا شريك له في الالوهية، فلا قيام لحياة في هذا الكون ولا وجود إلا به سبحانه به تقوم كل حياة وبه يقوم كل وجود، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ فلا ربّ سواه، ولا معبود بحق غيره، فهو الذي يتصف بحقيقة الحياة الذاتية المطلقة من كل قيد فلا شبيه له في صفته، وهو الباقي الدائم الذي لا يموت، القائم على تدبير شؤون عباده، فالحياة الإسلامية بكل مقوماتها إنما تنبثق إنبثاقا من حقيقة التصور الاسلامي عن التوحيد الخالص[٣].

---

(١) سورة النحل: آيه ٢٦.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير،٢٤٩/١٩،وانظر: في ظلال القرآن، قطب ٢٦٤٢/٥.

(٣) في ظلال القرآن، قطب، ج١٣٣/٣

١ – خلق الإنسان:

بين سبحانه وتعالى أنه المنفرد بخلق الإنسان في أرحام الأمهات ويصورها كيف يشاء من ذكر وأنثى وحسن وقبيح ، قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1] هكذا يصوركم يمنحكم الصورة التي يشاء، ويمنحكم الخصائص المميزة لهذه الصورة، وهو وحده الذي يتولى التصوير بمحض إرادته، ومطلق مشيئته ﴿كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ .

﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ ذو القدرة والقوة على الصنع والتصوير، ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ الذي يدبر الأمر بحكمته فيما يصور ويخلق بلا معقب ولا شريك، بيّنت الآيه الكريمة أنه لا رب سواه متفرد بالوحدانية والألوهية قال تعالى ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ وفيه إشارة إلى كمال قدرته وتناهي حكمته .[2]

ولكي لا يتكبر الإنسان عن عبادة الله والتوجه إليه، شرع بعرض بعض نعم الله على الناس تلك النعم توحي بعظمة الله تعالى لتدل على وحدانيته، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ

---

(١) سورة آل عمران: آيه ٦.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤/٩،وانظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٢/٧

وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [1]، دلت الآية على قدرة الله تعالى ووحدانيته ، ومنها أن الله جعل الأرض مستقرا لكم في حياتكم وبعد مماتكم (أي منزلاتكم)، مهيأة لكل مصالحكم من غرس وحرث وبناء، والإقامة عليها ، ومنها أن السماء بناء أي سقفاً محفوظاً كالقبة المبنية مرفوعة فوقكم وفيها ما تنتفعون به من الأنوار والعلامات، ومن دلائل قدرته ووحدانيته أنه صوركم في أحسن تصوير وخلقكم في أحسن الأشكال ثم رزقكم من الطيبات، ومن أنواع اللذائذ الدالة على وحدانيته قال (ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ) تبارك الله وتقدس وتنزه ، وهو الحي المنفرد بالحياة الذاتية غير المستمدة من آخر، ثم قال تعالى (هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) وهذا استئناف لإثبات إلهيته الحق بإثبات ما يناسبها وهو الحياة الكاملة ، فهو الحي وهو قصر ادعائي لعدم الاعتداد بحياة ما سواه من الإحياء لأنها عارضة ومعرضة للفناء والزوال و (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) موقع النتيجة من الدليل لأن كل من سواه لا حياة له واجبة ، وبعد اتضاح الدلالة على انفراده تعالى بالإلهية فرع عليه الأمر بعبادته وحده غير مشركين غيره في العبادة لنهوض انفراده باستحقاق أن يُعبد ، فالإخلاص هو الإفراد وتصفية الشيء مما ينافيه أو يفسده ، وقوله (مُخْلِصِينَ) فالفاعل لهذه الأشياء والمنعم بهذه النعم هو ربكم لا إله إلا هو، فاعبدوه وحده مخلصين له

---

(١) سورة غافر: آيه ٦١-٦٥.

العبادة والطاعة ظاهراً وباطناً قائلين الحمد لله رب العالمين .

ومن تلك اللفتة الى آفاق الكون الليل والنهار والشمس والقمر والسموات والأرض، انتقل الى لمسة في أنفس العباد وأشار الى آية الحياة القريبة من أنفسهم وفي الأنعام المسخرة لهم، لتدل على عظمة الخالق المبدع، من أجل الايمان بالوحدانية الظاهرة، فقال تعالى ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [١].

فبدأ سبحانه وتعالى بالحديث عن خلق الإنسان لأنه خلق عجيب، وأوضح فيه الاستدلال على أصلهم الواحد والذي تشعب منه خلق عظيم فقال (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) أي خلقكم على اختلاف ألسنتكم وألوانكم من نفس واحدة وهي آدم . ثم جعل منها زوجها فالآية في سورة الأعراف مساقها مساق الامتنان على الناس بنعمة الاعجاز ، ثم ذكر الاستدلال بوجود الحيوان فقال (وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ) أي وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج وهي التي ذكرها في سورة الأنعام ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾[٢] أي ذكر وأنثى لكل منها ، وعطف الاستدلال بما خلقه الله تعالى من الأنعام على خلق الإنسان لأن

---

(١) سورة الزمر: آيه ٦

(٢) سورة الأنعام: آيه ١٤٣

المخاطبين يومئذ قوام حياتهم بالأنعام ولا تخلوا الأمم يومئذ من الحاجة إلى الأنعام ، ولم تزل الحاجة إلى الأنعام لاحقة بالبشر في قوام حياتهم [١] .

ثم ذكر سبيل خلق ما ذكر من الأناسى والأنعام فقط (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) أي يبتدىء خلقكم أيها الناس في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق ، فيكون أحدكم نطفة ثم يكون علقة ، ثم يكون مضغة ، ثم يكون لحماً وعظماً وعصباً ، وينفخ فيه الروح فيصير خلقاً آخر ،فتبارك الله أحسن الخالقين (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) أي ظلمات أغشية ثلاثة جعلها المولى سبحانه وتعالى وقايه للولد وحفظاً له من التعفن ،وهي البطن والرحم والمشيمة (كي يغلّف الجنين) فلما شرح سبحانه هذه الدلائل ووصفها قال (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ) أي ذلك العظيم الشأن الذي عددت أفعاله هو الهكم ومربيكم المستحق لتخصيص العبادة به سبحانه (لَهُ الْمُلْكُ) على الأطلاق في الدنيا والآخرة ،ولهذا قال (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) أي: ما هو الذي جعلهم مصروفين عن التوحيد ولم يذكر لهم صارفاً نعياً عليهم بأنهم كالمَقودين الى الكفر غير المستقلين بأمورهم يصرفهم الصارفون يعني أئمة الكفر أو الشياطين.

وبين سبحانه من خلال الاستدلال على وحدانيته، بتفرده بالإحياء والإماتة فقال﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [٢] فذكر تعالى صفات تدل على وحدانيته وهي الإحياء والإماتة، فهو يحي ما يشاء

---

(١) انظر تفسير المراغي، المراغي٢٣/١٤٦، انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ،٢٣/٣٣٣.

(٢) سورة الدخان: آيه ٨.

ويميت ما يشاء، وأكد الربوبية على البشر بالذات، فهو ربكم ورب آبائكم وأجدادكم الأولين، ومدبر شؤونهم فهو المستحق للعبادة دون غيره.

٢- الاستدلال بالقضايا الفلكية:

بعد بيان قدرة الله عز وجل على خلق الإنسان ومنها استُدل على وحدانيته سبحانه وتعالى وأنه لا معبود بحق إلا هو جل وعلا ولي النعم ومصدر الإحسان، بيّن بأن الحواس والمشاعر جديرة بأن تفتح العين والقلب على عجائب هذا الكون، فهي دلائل وبراهين عظيمة دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة لقوم لهم عقول تعي وأبصار تدرك، وتتدبر بأن هذه الأمور من صنع إله قادر حكيم فلا يسع الناظر إلا التسليم، قال تعالى ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[1] يخبر تعالى عن تفرده بالإلهية وأنه لا شريك له ولا عدل له بل هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم فهو متصف بالرحمة العظيمة ، التي لا يماثلها رحمة أحد ، فقد وسعت كل شيء وعمت كل حي ، وفي الآية إثبات وحدانية البارئ في إلهيته ، وتقريرها بنفيها عن غيره من المخلوقين ، وذكر ثمانية أنواع من الدلائل التي يستدل بها على وجوده سبحانه وتوحيده وبراءته عن الأضداد والأنداد ، فقال

(١) سورة البقرة: آيه ١٦٣-١٦٤

تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴾[(١)].

فالمقصود من هذه الآية إثبات دلائل وجود الله ووحدانيته، وبين الله في هذه الآية دلائل كلها واضحة من أصناف المخلوقات وهي مع وضوحها تشتمل على أسرار يتفاوت الناس في أدراكها حتى يتناول كل صنف من العلماء مقدار الأدلة منها على قدر قرائحهم وعلومهم. ومن الظواهر خلق السموات والأرض، فالسموات التي تتألف أجرامها من الطوائف ، لكل طائفة منها محكم وللمجموع نظام واحد ، يدل على أنه صادر من إله واحد لا شريك له في الخلق والتقدير والحكمة والتدبير، وأما الأرض ففي جرمها ومادتها وشكلها والعوالم المختلفة التي عليها من الجماد والنبات والحيوان، وفي منافعها المختلفة باختلاف أنواعها ما يدل على أبداع الحكيم العليم، وجمعت السماء لأن المراد الأجرام العظيمة ذات النظام الخاص وأما افراده الأرض لأن الأرض عالم واحد وأما جمعها في بعض الآيات فهو على معنى طبقاتها أو أقسام سطحها، ومن الظواهر أيضا تعاقب الليل والنهار، وفي ذلك منافع للناس وآيات بينات دالة على وحدة مبدع هذا النظام ورحمته بعباده [(٢)]، ومن الظواهر الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وهي السفن والمراكب ، مما ألهم الله عبادة صنعتها ، وخلق لهم من الالات الداخلية والخارجية ما أقدرهم عليها، ثم

---

(١) سورة يونس: الآية٦

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ،١/٣٥، وانظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور٢/٧٦، وانظر: معالم التنزيل، البغوي١/١٩٥.

سخر لهم هذا البحر العظيم ، وكل ذاك يجري على سنن مطرودة تدل على أنها صادرة عن قوة بديعة النظام ، هي قوة الإله الواحد العليم، ودلالتها على الرحمن بما ينفع الله عباده في أسفارهم وتجارتهم، ومن الظواهر إنزاله سبحانه تعالى الماء والذي أحيا الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة، أي وبهذا الماء تحدث الحياة في الأرض بالنبات، وبه أمكن معيشة الحيوان على سطحها، كل ذلك من أعظم الأدلة على وحدانية المبدع، ومن جهة ما للخلق فيه من المنافع يدل على الرحمة الإلهية الشاملة.

ومن الظواهر تصريف الرياح، أي توجيه الرياح وتصريفها بحسب الإرادة وَوِفقَ النظام على السنن الحكيمة ، فمنها الملقحة للنبات ، ومنها العقيم، وهي في الأغلب تهب من جهة من الجهات الأربع، وقد تكون متناوبه: تهب من كل ناحية. وتارة تأتي نكباء بين بين، يدل على وحدة مصدرها ورحمة مدبرها، ومن الظواهر السحاب المسخر بين السماء والأرض، أي الغيم يحمل السحب في الجو لإنزال الأمطار في مختلف البلاد، وتكون بنظام واعتراض[1] بين السماء والأرض، بحسب السنة الإلهية في اجتماع الأجسام اللطيفة وافتراقها وعلوها وهبوطها ثم بين سبحانه وتعالى بعض الأدلة الفلكية وتخللها شيء من خلق الأنسان والحيوان فقال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ

(١) انظر: تفسير المراغي، المراغي٢/٣٧-٣٨، وانظر: تفسير كلام المنان، السعدي ١/٧٩.

لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ۚ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[1]

فقد نزه سبحانه وتعالى نفسه عما وصفه به أعداؤه ، وذكر الوحي الذي ينزله على أنبيائه، مما يوجب أتباعه في ذكر ما ينسب لله من صفات الكمال فقال ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ﴾ أي بالوحي الذي به حياة الأرواح ﴿عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ ممن يعلمه صالحاً، لتحمل رسالته ، فكانت دعوة جميع الرسل ومدارها قوله ﴿أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا ﴾ أي على معرفة الله تعالى وتوحيده في صفات

---

(١) سورة النحل: ٢-١٦.

العظمة التي هي صفات الألوهية، وعبادته وحده لا شريك له فهي التي أنزل الله بها كتبه وأرسل رسله ، وجعل الشرائع كلها تدعو إليها ، ثم ابتدئ بالدلالة على اختصاصه بالخلق والتقدير وذلك دليل على أن الذي لا يخلق لا يوصف بالألهية ، وذكر الأدلة تحقيقاً للوحدانية فقال (خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) فالاستدلال بخلق السموات والأرض أكبر من سائر الأدلة وأجمع لأنها حاوية لهما ، ولأنهما من أعظم الموجودات، فلذلك ابتدئ بهما، لكن ما فيه من إجمال المحويات اقتضى أن يعقب بالاستدلال بأصناف الخلق والمخلوقات فثنى بخلق الأنسان وأطواره وهو أعجب الموجودات المشاهدة، ثم بخلق الحيوان وأحواله لأنه يجمع الأنواع التي تلي الأنسان في إتقان، الصنع مع ما في انواعها من المنن، ثم بخلق ما به حياة الإنسان والحيوان وهو الماء والنبات، ثم بخلق أسباب الأزمنة والفصول والمواقيت ، ثم بخلق المعادن الأرضية ، وانتقل إلى الاستدلال بخلق البحار ثم الجبال والأنهار والطرقات ، فقال (خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ) أي خلق الإنسان من نطفة من ماء مهين ، خلقاً عجيباً في أطوار مختلفة ثم أخرجه إلى ضياء الدنيا بعد ما تم خلقه ، ونفخ فيه الروح فغذاه ورزقه القوت، حتى إذا استقل ودرج نسي الذي خلقه خلقاً سوياً ، بل خاصمه ، وعبد ما لايضره ولا ينفع (وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) أمتن الله على عباده بما خلق لهم من الأنعام وبما جعل فيها من المنافع من الأصواف والأوبار والأشعار، لباساً وفراشاً، ومن الألبان شراباً ، ومن الأولاد أكلاً (وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ) أي ولكم فيها زينة حين تردونها بالعشي من مسارحها

إلى منازلها التي تأوي إليها ، وحين إخراجها من مراحها إلى مسارحها ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ﴾ أي وهي أيضاً تحمل أمتعتكم وأحمالكم من بلد إلى آخر لم تكونوا بالغيه بدونها إلا بكلفة ومشقة وجهد شديد[١] ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ أي وخلق لكم الخيل والبغال والحمير لتركبوها، وجعلها لكم زينة تتزينون بها وبعد أن شرح سبحانه دلائل وحدانية أرشد إلى أنه كفيل بيان الطريق المستقيم فقال ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فعلى الله بيان الطريق المستقيم الموصل إلى الحق ، ولكن هناك طريق جائر عن الاستقامة ، معوج زائغ عن الحق، ثم أخبر سبحانه بأن الهداية والضلال بقدرته ومشيئته، ولو شاء لجعلكم كالنمل والنحل مفطورين على العبادة ، ولكنه شاء أن يجعلكم تعملون أعمالكم باختياركم وتسعون إليها وترجحون ما تميل إليه أنفسكم، من خير وشر ثم شرع بنعم أخرى للدلالة على وحدانيته فقال ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾تدل الآيات الكريمة على رحمة الله سبحانه وتعالى بالإنسان حيث أنزل له المطر من السماء فجعله عذباً زلالاً يسوغ لكم شرابه، ولم يجعله ملحاً أجاجاً، وأخرج به شجراً ترعون فيه أنعامكم، وأنبت به الزرع والنخيل والأعناب، ومن كل الثمرات على اختلاف أصنافها وألوانها وطعومها وروائحها وأشكالها، رزقاً لكم تستطيعون به

---

(١) انظر: تفسير المراغي، المراغي ١/٥٦، وانظر: تفسير كلام المنان، السعدي ١/٤٣٦.

تحقيق قوام الحياة، وفي ذلك آية للدلالة والحجة على أنه لا إله إلا الله، لقوم يتعظون ويتفكرون في تلك الأدلة لأنه لا مبدع ولا موحد لها غير الله الخالق الأحد المستحق للتمجيد والعبادة، ثم قال ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ ثم نبه الله تعالى على آياته الكونية العظام، ممتناً بنعمته عليكم فصير لكم ما ينفعكم من تعاقب الليل والنهار للنوم والاستراحة والسعي وكسب المنافع وقضاء المصالح، وأهمية الشمس والقمر للإنارة وانتفاع الإنسان والحيوان والنبات بالحرارة والضوء ومعرفة عدد السنين، والشهور وكل منها يسير في نظام دقيق وحركة مقدرة لا زيادة ولا نقص ، وكل ذلك خاضع لسلطان الله وقهره ، وفي ذلك دلالة على قدرته الباهرة وسلطانه العظيم، لقوم يعقلون ويفهمون حججه، والسبب في ختم الآية السابقة بقولة لقوم يتفكرون، وختم هذه الآية بقوله لقوم يعقلون؛ لأن دلالة الأدلة السماوية العلوية على قدرة الله و وحدانيته ظاهرة لا تحتاج إلا لمجرد العقل بدون تأمل، وأما الأدلة الأرضية من الزرع والنخيل وغيرها فتحتاج في دلالتها على إثبات وجود الله إلى تفكر وتأمل وتدبر، ثم قال: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفاً ألوانه وأصنافه ومختلفا في الطباع والهيئات والمناظر فلا يكون ذلك إلا بصنع صانع حكيم هو الله عز وجل. ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ

تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾) أنه سبحانه وتعالى سخر البحر، فذلله للعباد حتى تتمكنوا من ركوبه وفي ذلك نعم منها الأكل لحماً طرياً، ومنها تستخرجون منه اللؤلؤ والمرجان ،ومنها شق أمواج البحر في السفن، ومنها الابتغاء من فضله بأرباح التجارات بواسطة الحمل على السفن.

ثم ذكر سبحانه (وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) فذكر تعالى بعض النعم التي خلقها في الأرض ومنها، تثبيت الأرض بالجبال الرواسي، أي الثوابت لتقر ولا تضطرب، ومنها إجراء الأنهار على وجه الأرض، وذكرها بعد الجبال لأن أكثر الأنهار إنما تتفجر منابعها من الجبال، ومنها ايجاد السبل وهي الطرق والمسالك التي تسهل العبور والانتقال من أرض إلى أرض، فلعلكم تهتدون بتلك السبل إلى مآربكم ومقاصدكم. وأظهر في الأرض علامات مخصومة ومعالم تؤدي على المقصود والناس يهتدون في ظلام الليل بالنجوم[1].

بين سبحانه وتعالى أنه الخالق لكل شيء وأن خلقه بديع ، وجاء ذلك في سياق تنزيه الله تعالى وتوحيده، فقال تعالى ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾[2]، فهو بديع

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي،٩٨/١٤، وانظر: أنوار التنزيل، البيضاوي ١٢١/٣، وانظر: أضواء البيان الشنقيطي،٣٤٠/٢.

(٢) سورة الأنعام: آيه ١٠١-١٠٢.

السماوات والأرض أي مبدعها ومحدثها فقال (ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) مقتضية استحقاق العبادة، والانفراد بالربوبية يقتضي تخصيصه بالعبادة، وهو على كل ما ذكر موكول إليه كل شيء يتصرف فيه ويدبره بعلمه وحكمته، أما في سورة غافر فقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[1]، قام فيه وصفه بالخلق عل كلمة التوحيد عكس ما هنا؛ لأن ما ورد هنا رد على المشركين فناسب تقديم كلمة التوحيد، وأما سورة غافر جاءت بين آيات في خلق ونعم الله فناسب تقديم الوصف بالخلق فيها على التوحيد الذي هو نتيجة لذلك وغاية[2].

وجعل سبحانه تذكر الإنسان لنعمه سبحانه وتعالى بدعوته إلى النظر في دليل الوحدانية والقدرة والفضل فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[3] لما بين أن الحمد لله وبين بعض وجوه النعمة التي تستوجب الحمد على سبيل التفصيل بين نعمه على سبيل الإجمال، وهي مع كثرتها منحصرة في قسمين نعمة الإيجاد فقال (هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ)، ونعمة الإبقاء بالرزق فقال تعالى:

(١) سورة غافر: آيه ٦٢.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري١١/١٢، انظر: إرشاد العقل السليم ، ابو السعود، ٣/١٦٨، وانظر: تفسير المنار، رضا،٧ /٥٤٣.

(٣) سورة فاطر :آيه ٣

﴿ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ، فإذا تبين تفرده تعالى بالألوهية والخالقية والرازقية فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك[(١)].

وضمن الاستدلال بالامتنان على الناس بجلائل نعمه، أدمج مع الاستدلال على وحدانيته تعالى بصنع عجيب متكرر كل يوم مرتين ، وهو من بديع مصنوعاته فقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[(٢)] فمدح سبحانه وتعالى نفسه بالوحدانية والتفرد باستحقاق الحمد فقال: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ أي في الدنيا والآخرة ، وله الحكم ليقضي بين عبادة بما يشاء من غير مشارك ، وإليه ترجعون يوم القيامة ليجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، فلما بين سبحانه استحقاقه للحمد على وجه الإجمال، نصل بعد ذلك ببعض ما يجب أن يحمد عليه مما لا يقدر عليه سواه فقال: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴾ فنبه على أن الوجه في كون الليل والنهار نعمتان يتعاقبان على الزمان، فقال ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٢٢/١٦.

(٢) سورة القصص :آيه ٧٠-٧٣

سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ أي لو أن سبحانه وتعالى جعل الدهر الذي تعيشون فيه نهاراً إلى يوم القيامة ، فمن سيأتيكم بليل تستقرون فيه من النصب والتعب لتستريحون فيه ، فإذا أقروا بأنه لا يقدر على ذلك إلا الله عز وجل فقد لزمتهم الحجة وبطل ما يتمسكون به في الشبه الساقطة، وإنما قرن سبحانه بالضياء أفلا تسمعون ، لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من درك منافعه و وصف فوائده، وقرن بالليل قوله ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ لأن البصر يدرك ما لا يدركه السمع من ذلك ، ثم صرح بنعمة تعاقب الليل والنهار فقال ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ فالمقصود إظهار أن هذه رحمة من الله وأنه بعض من رحمته التي وسعت كل شيء ليتذكروا بهما نعما أخرى، فجعل الليل للسكن والراحة والنهار للعمل والطلب لتحصيل الرزق، ثم عطف الشكر على العلتين ليتذكروا بذلك مظاهر الرحمة الربانية وحلائل النعم فيشكرون بإفراده بالعبادة، وهذا تعريض بأنهم كفروا فلم يشكروا[1].

وبين سبحانه وتعالى أنه نعمه الفلكية سبباً في العبادة وباعث عليه فقال ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾[2] فالمالك المتصرف في المشارق والمغارب الذي لا إله إلا هو، وكما أفردته بالعبادة ، فأفرده بالتوكل ، واجعله

---

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني٤/٢١٥-٢١٨،وانظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ١/٢٥، وانظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ،١٧١/٢٠.

(٢) سورة المزمل: آيه ٩ .

وكيلاً لك في جميع الأمور ، وكلمة التوحيد إشارة إلى كماله تعالى في ذاته، وفيه دليل على أن من لم يفوض كل الأمور إلى ربه لم يكن راضياً بألوهيته[١].

❁❁❁

المبحث الثالث : الهدف من (لا إله إلا الله)

يتناول هذا المبحث الأهداف التي تحققت من ورود كلمة لا إله إلا الله في القرآن الكريم.

أولاً: توحيد الله تعالى:

إن أساس الاسلام هو توحيد الله وإعلان هذا التوحيد وتخليصه من شوائب الإشراك فقد وردت كلمة "لا إله إلا الله " في ثلاثين موضعا من القرآن الكريم، كان الهدف الأسمى من ذكرها هو توحيد الله جل وعلا، وتحديد مفرق الطريق بين عقيدة التوحيد الخالصة الناصعة والشبهات والانحرافات.

والإنسان يرتقي في توحيده وتنزيهه لله تعالى، وفي معرفته لأسماء الله الحسنى وصفاته العظمى إلى درجة الإيمان، وبذلك يتخلص من براثن الشرك، وشوائب العبودية وعبادة الأوثان.

بل نلاحظ أن سور القرآن الكريم كلها تدعو أصحاب العقول والألباب، والسمع والبصر، للتفكر في آيات الله الدالة على عظمته وقدرته والنظر إلى أرضه وسمواته وبحوره وأنهاره وليله ونهاره من أجل معرفة الله تعالى، فكلها تثبت وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن الند والشريك.

---

(١) انظر: تفسير المنير، الزحيلي، ١٩٥/٢٩.

فإثبات وحدانية الله تعالى وإلهيته وتقريرها بنفيها عن غيره من المخلوقين، ومعرفة الأسماء الرقيقة الدالة على حسن المعاني تنزه الله عن صفات العجز والنقص.

ومن دلالة كلمة التوحيد أنها نفت حقيقة الألوهية عن غير الله تعالى؛ لأن المقصود إبطال وجود إله غير الله رداً على الذين ادّعوا تعدد الآلهة، ونفي حقيقة الألوهية عن غيره سبحانه وتعالى.

ومن لدلالة كلمة التوحيد أيضا أنها تبدأ بـ (لا إله إلا هو) لأنها صفة الوحدانية لله عز وجل ، ولأنها الأصل فيما يتبعها من الصفات العلية ، ولذلك كثر في القرآن الكريم ذكر عقب أسم الجلالة ، ولكن قد تأتي قبلها بعض الصفات ، وذكرت أسماء لله تعالى وصفات كثيرة منها الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق ، العالم، الحي، القيوم، الحكيم، عالم الغيب، عالم الشهادة، وسع كل شيء علماً، رب العرش العظيم، العلي ، العظيم ، الواحد ، القهار ،غافر الذنب، قابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول، إليه المصير، رب المشرق والمغرب، إليه المآب، يحيي، ويميت له الحكم، له الحمد، إليه ترجعون ، وبالاستقراء فإن ما ورد من أسماء وصفات علية لله عز وجل مع كلمة التوحيد، كله من مقتضات الوحدانية لله تعالى ولمناسبة السياق القرآني لتلك الأسماء والصفات، فأن فيها رداً على الكفار لزيادة ردعهم عن كفرهم وجحودهم في صفات الله عز وجل .

وتوحيد الله هو أساس الإسلام وأن الله عزّ وجل قد شهد به وأعلن هذا التوحيد الخالص، فشهادته سبحانه وتعالى تحقيق وحدانيته بالدلائل التي نصبها

على ذلك ، فشهد بمعنى بيَن وأقام الأدلة ، وشبَه إقامة الأدلة على وحدانيته من إيجاد المخلوقات ونصب الأدلة العقلية ، شهادة الشاهد بتصديق الدعوى في البيان والكشف، وفي ذلك دليل على أن أشرف الأمور علم التوحيد؛ لأن الله شهد به بنفسه وأشهد عليه خواص خلقه، والشهادة لا تكون إلا عن علم ويقين(١)، قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾(٢).

ثانياً: التصديق بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم :

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٣) فأوضحت هذه الآية شرف وعظمة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة، والدليل على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم؛ منها إثبات أن للعالم إلها حياً عالماً قادراً ، ومنها إثبات أن إله العالم واحد منزه عن الشريك والضد والند ومنها إثبات أنه تعالى قادر على الحشر والنشر والبعث والضد والند ، فإذا ثبت أنه يصح من الله تعالى تلك الأصول ، فأنه يصح منه

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣/٢، ١١٧/٧٤، ١٧،٢٨، وللعلم فإن ما ورد من أسماء و صفات لله تعالى، يحتاج الى دراسة منفصلة ومفصلة .

(٢) سورة آل عمران: آيه ١٨.

(٣) سورة الأعراف: آيه ١٥٨.

إرسال الرسل، أراد به بذكر محمداً رسول حق من عند الله لأن من حاول إثبات مطلوب وجب أن يبين جوازه اولاً، ثم حصوله ثانياً، لذلك أشار سبحانه وتعالى إلى ذكر المعجزات الدالة على كونه نبياً حقاً، ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم كانت على نوعين، الأول : المعجزات التي ظهرت في ذاته وأجلها وأشرفها أنه كان رجلاً أمياً، لم يتعلم عند معلم ولم يطالع كتاباً فأنزل الله عليه القرآن المشتمل على علوم الأولين والآخرين، فكان ظهور هذه العلوم العظيمة وهي من أعظم المعجزات، والثاني المعجزات تسمى بكلمات الله تعالى مثل؛ انشقاق القمر ونبوع الماء من بين أصابعه، فالمعجزات لما كانت أموراً خارقه للعادة، لم يبتعد بتسميتها بكلمات الله تعالى وهذا النوع هو المراد بقوله: ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ أي يؤمن بالله وبجميع المعجزات التي أظهرها الله عليه، فبهذا الطريق أقام الدليل على كونه نبياً صادقاً من عند الله (١) .

ومن مقتضيات رسالته صلى الله عليه وسلم: أنه لم يكن بدعا من الرسل حتى يستنكروا رسالته ، فجعل القرآن الكريم معجزته؛ لأنه ذكره في مقابلة إرسال الرسل الأولين فقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ (٢)، وقال تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (٣) وفي ذلك إظهار لعناية الله تعالى بإزالة الشرك

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ١٥/٣٨٥.

(٢) سورة الرعد: آيه ٣٠.

(٣) سورة الأنبياء: آيه ٢٥.

من نفوس البشر وقطع دابره إصلاحا لحقوقهم من خلال أصفياء البشر وهم الأنبياء وخاتمهم النبي صلى الله عليه وسلم .

فلما علمت أدلة صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان من مقتضيات نبوته صلى الله عليه وسلم مهام وواجبات ، فكانت مهمته صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[١]، فمهمته صلى الله عليه وسلم إنذار من عصاه بالنار، وتخويف من أنكر التوحيد والنبوة والمعاد بعقاب من الله، وكذلك تقرير التوحيد وهو أن لا إله إلا الله، المنزه عن الشريك والنظير، وأنه سبحانه القهار لكل شيء ، وهذا يدل على كونه واحدا، وأن الذي جعل شريكا له لا يقدر على شيء اصلا، مثل هذه الأوثان والجمادات التي لا تضر ولا تنفع[٢].

ولما كانت صفات الرسول صلى الله عليه وسلم تقتضي من كل ذي عقل سليم الإيمان به واتباعه، فمن آمن فقد نجا، ومن أعرض عنك وعن الإيمان برسالتك فقل حسبي الله، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[٣] أي الله يكفي في النصر على الأعداء ، فهو الله لا إله إلا هو فلا معبود سواه أدعوه وأخضع له، عليه توكلت وفوضت أمري إليه[٤].

---

(١) سور ص: آيه ٦٥

(٢) انظر: التفسير المنير ، الزحيلي٢٣/٢٢٧.

(٣) سورة التوبة: آيه ١٢٩

(٤) انظر: التفسير المنير، الزحيلي ١١/٩٠

ثالثاً : التصديق بالقرآن الكريم :

القرآن الكريم كلام الله المعجز ، وهو معجز لإثبات أنه من عند الله عز وجل، ولأثبات نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد جاء امر القرآن الكريم ملازماً لكلمة التوحيد في بعض المواطن ومنها، أن الله عز وجل أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم رحمة بهم، وهو أجلّ الكتب وأعظمها المشتمل على الحق في إخباره و أوامره ونواهيه، فما أخبر به الصدق، وما حكم به العدل قال تعالى ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[1].

فالله سبحانه وتعالى الذي لا ينبغي التأله والتعبد إلا لوجهه ، أنزل القرآن الكريم وأنزل التوراة وأنزل الإنجيل فقوله (نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ) أهم من قوله (وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ) للدلالة على عظم شأن نزول القرآن الكريم ، لأن نزّل يدل على التنجيم وإن أنزل يدل على أنّ الكتابين أنزلا جملة واحدة [2] ، وقد وصف القرآن الكريم بوصفين ، الأول أنه الحق : وله عدة معاني منها أنه صدق بما فيه من الأخبار السالفه ، وما فيه من وعد ووعيد يحمل المكلف على ملازمة طريق الحق في العقائد والأعمال ويمنعه عن سلوك طريق الباطل ، وأنه قول فصل، ومنها أنزله الله بالحق لا بالمعاني الفاسدة ، وأكد تعالى ذلك بقوله ﴿إِنَّ

(١) سورة آل عمران: آيه ٣-٤.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣/١٧.

﴿ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1]، والوصف الثاني أنه مصدق لما بين يديه من الكتب السابقة للأنبياء ومعنى ذلك أنه تعالى دل بذلك على صحة القرآن؛ إذ لو كان من عند غير الله لم يكن موافقاً لسائر الكتب، والنبي صلى الله عليه وسلم كان أمياً لم يخالط العلماء ولا تتلمذ عند أحد ، فلما كان من قصص في القرآن الكريم إنما بوحي الله تعالى ،وهناك معنى آخر أنه تعالى لم يبعث نبياً قط إلا بالدعاء إلى توحيده والإيمان به وتنزيهه عما لا يليق به، والأمر بالعدل والإحسان وبالشرائع التي هي صلاح كل زمان، فالقرآن مصدق لتلك الكتب في كل ذلك[2]، فالله أنزل التوراة والإنجيل لهداية من أنُزل عليهم إلى الحق ومن جملة ذلك الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم و إتباعه حين يبعث، فالذين كفروا وكذبوا بالقرآن، لهم عذاب شديد[3].

ولما كان افتراء الكفار وادعاؤهم بأن القرآن من عند غير الله عز وجل ؛ قد يكون سببا لفتوره في تبليغ الدعوى والرسالة قال تعالى ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[4]، أي اتبع يا ما محمد القرآن الذي أوحاه الله إليك واشتغل بعبادة الله فلا معبود بحقٍ إلا هو، فالقرآن الكريم يأمر بالعمل، وقرن ذلك باعتقاد الألوهية وتوحيد الربوبية، ولا تبالي بما يقوله الكفار؛ لأن الحق بالقرآن قد ظهر وبان فأمر الله عز وجل النبي صلى الله عليه

---

(١) سورة آل عمران: آيه ٦٢.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٧/١٢٦.

(٣) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ٣/٩٨.

(٤) سورة الأنعام : آيه ١٠٦.

وسلم أن لا يستجيب لهم فقال: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1] فلما تحداهم الله بأن يأتوا بمثل القرآن الكريم أو بجزء منه، ثم وقفوا عاجزين، أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم بعدم الاستجابة لهم؛ لأن القرآن أنزله الله عز وجل فلا يستطيع الكفرة ولا المشركون أن يأتوا بشيء من مثله، فالقرآن الكريم قد ثبت صدق إعجازه، فيجب الثبات عليه.

التبليغ من خلال القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾[2] فكما أرسلناك أنبياء للأمم السابقة ، أرسلناك يا محمد وأعطيناك القرآن الكريم لتتلوه عليهم لعلهم يهتدون ، ثم ذكر من شأن تعظيم القرآن أنه لو ثبت أن كتابا سيرت بتلاوته الجبال وزعزعت من أماكنها أو شققت الأرض وجعلت أنهارا وعيونا ،أو كلم به أحد الموتى في قبورهم فأحياهم بقراءته، فلو ثبت هذا الشيء من الكتب لثبت للقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومع ذلك تمادوا في الضلال والمكابرة

---

(١) سورة هود : آيه ١٤

(٢) سورة الرعد : آيه ٣٠-٣١

والمعاندة ، وبسبب معاندتهم لا تزال تصيبهم البلايا والرزايا من قتل وسلب، أو تحل بهم قارعة فيفزعون بها ، ولا يزالون كذلك حتى يأتي أمر الله ، وينصر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والله لا يخلف الميعاد[١].

ثم بين سبحانه وتعالى أن جحود الكفار للإيمان بالله تعالى كان سببه جحودهم وإنكارهم للقرآن الكريم؛ لذلك لم يتدبروه ولم يتأملوا معانيه ودلالته[٢]، **فقال تعالى:** ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [٣].

رابعا: التصديق بيوم القيامة:

الإيمان باليوم الآخر ، ركن من أركان الإيمان ، فلا يستقيم إيمان إنسان بدون هذا الركن، ومع وجود الأدلة والبراهين على ذلك إلا أن بعض الناس ينفي هذا الركن، ولا يؤمن باليوم الذي سيحاسب الله تعالى فيه العباد على أعمالهم وسجل القرآن الكريم أقوالاً منها ذلك فقال تعالى: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[٤] **وقال تعالى:** ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[٥].

---

(١) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ١٨٨/٣.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير،١٨٨/٢

(٣) سورة غافر: آيه ٦٢-٦٣.

(٤) سورة الصافات: آيه ١٦

(٥) سورة الجاثية :آيه ٢٤

وفي قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾[1] يخبر سبحانه وتعالى عن إنفراده بالوحدانية وأنه لا معبود ولا مألوه إلا هو لكماله وفي ذاته وأوصافه ولكونه منفردا بالخلق والتدبير ، ولذلك أقسم على وقوع محل الجزاء وهو يوم القيامة ، فليجمعنكم في صعيد واحد، ولا شك ولا شبهة في ذلك، بالدليل العقلي والدليل السمعي أما العقلي ما نشاهده من إحياء للأرض بعد موتها ، ومن الحكمة التي تجزم بأن الله لم يخلقنا عبثا، أما الدليل السمعي فهو إخبار أصدق الصادقين بذلك بل إقسامه عليه، فإخباره بذلك هو في أعلى مراتب الصدق[2].

وبيّن سبحانه وتعالى أنه المستحق للعبادة، فله الحمد والثناء الكامل في الدنيا والآخرة وله الحكم وله القضاء النافذ والفصل بين العباد فقال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[4] .

فالله تعالى القادر على كل الممكنات، وعالم بكل المعلومات، منزهاً عن النقائص والآفات، فله الحمد والشكر، يقضي في كل شيء، فلا معقب لحكمه، وهو القاهر المستحق للعبادة، وإليه ترجع جميع الخلائق يوم القيامة فيجزي كل

(١) سورة النساء: آيه ٨٧

(٢) انظر: تفسير كلام المنان، السعدي١/١٩٢.

(٣) سورة القصص: آيه ٧٠

(٤) سورة القصص: آيه ٨٨

عامل بعمله خيراً أو شراً ولا يخفى عليه منهم خافية في الأرض ولا في السماء. وربط الحق عز وجل بين الإيمان بالبعث مع صفاته الألوهية التي تفرد بها أن كل شيء هالك إلا وجهه فإن كل من في الوجود زائل إلا ذاته سبحانه وتعالى ، ومنها أن له الحكم أي له التصرف والملك والقضاء النافذ في الخلق ، ولا معقب لحكمه ، ومنها أن مصير الخلائق إليه ، فإليه الرجوع ليجزي على الأعمال[1].

خامساً: التصديق بالإسلام :

بينت الآية التي تتحدث عن كلمة التوحيد أن الهدف منها أن يكون الإنسان مسلماً ومصدقاً لما في الآيات من أدلة وبراهين ، ومنزهاً لله سبحانه وتعالى عما يقوله المشركون فقد جاءت الآيات القرآنية الداله على ذلك أما مجملة أو مفصلة ، فأما المجملة فقد جاءت بالأمر بالدعوة لله مخلصين له فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2]، لما أثبت سبحانه وتعالى لنفسه الألوهية، أمر عبادة بعبادته مخلصين له من غير شرك وأكد سبحانه وتعالى فقال: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾[3].

وقال: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير٦/٢٦٦-٢٣٣، وانظر: أنوار التنزيل والتأويل، البيضاوي ٤/١١٤-١١٧.

(٢) سورة غافر: آيه ٦٥

(٣) سورة طه: آيه ١٤.

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [2]، فبينت الآيات أن الله عز وجل قد أثبت لنفسه الألوهية وكل ما عداه سبحانه وتعالى فهو مخلوق، فيجب على المخلوق أن يعبد خالقه، ولا يشرك به شيئاً، ولا يجعل له نداً [3] فالله سبحانه وتعالى نزه نفسه أن يكون له شريك أو ند أو ولد فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[4] وهو تنزيه عام من الله عز وجل عن كل وصف من المشركين والكافرين والظالمين.

وأما المفصلة فقد دعت إلى الإسلام فقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ [5].

فبين سبحانه وتعالى أن أساس الدين الإسلامي هو توحيده سبحانه وتعالى، وتخليصه من شوائب الإشراك، فالإسلام، شهادة أن لا إله إلا الله

---

(١) سورة الأنعام: آيه ١٠٢

(٢) سورة الأنبياء: آيه ٢٥

(٣) انظر: تفسير المنار، رضا٧/٥٤٢.

(٤) سورة الحشر :آيه ٢٣

(٥) سورة آل عمران: آيه ١٨-١٩

والإقرار بما جاء من عند الله، وهو الدين الذي شرعه الله تعالى، وبعث به رسله، فلا يقبل غيره ولا يجزى إلا به ،فقال ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[1]، فيجب عليكم بعد قيام الحجة أن تدخلوا في الإسلام الذي دعاكم إليه القرآن الكريم، ويجب أن تكونوا مؤمنين بعقائده، وأخباره و وعده و وعيده، فلم يبق لكم محيص من الإسلام والإنقياد وقد دحضت شبهتكم وانقطعت معاذيركم، إلا الجحود والعناد، وإعراض الإستكبار[2] وضرب الله مثلاً على ذلك من خلال ما حدث مع فرعون فقال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [3]، فلما أدرك فرعون وجنوده وتيقن بالموت قال آمنت أنه لا إله بالحق إلا الرب الذي آمنت به بنو إسرائيل، وأعلن انه فرد من جماعة المذعنين والمناقدين للإسلام، بعدما كان من كفر الجحود بآياته والعناد لرسوله، فلما تيقن فرعون بالموت، وإذا به يعلن إسلامه من خلال كلمة التوحيد وأجيب فرعون بقوله ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[4].

وبين سبحانه بأن الإسلام دين لجميع الخلق وليس محصوراً بفئة معينة

(١) سورة هود :آيه ١٤.

(٢) انظر: تفسير المنار، رضا ١٢/١٠٠.

(٣) سورة يونس: آيه ٩٠

(٤) سورة يونس: آيه ٩١.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1]. فهو طلب بالإيمان بالله تعالى والإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم النبي الأمي في طلب واحد ليكون طلباً متوجهاً لكل الفرق، ليجمعوا في إيمانهم بين الإيمان بالله وبين الإيمان بالنبي الأمي ، وللإشارة إلى أن الإيمان بالنبي إنما هو لأجل الإيمان بالله تعالى[2].

ثم بيّن سبحانه وتعالى أسباب كفرهم وجحودهم ومنه قوله ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[3] فالمجرمون وقعوا بعذاب الله تعالى لأنهم كانوا مكذبين بالتوحيد والنبوة ،وبيان إجرامهم بذكر ما كانوا عليه من التكبر عن الإعتراف بالوحدانية لله ، ومن وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بما هو منزه عنه وصفاً يرمون به إلى تكذيبه فيما جاء به [4].

ومن أسباب كفرهم قولهم أن الله ثالث ثلاثة، فقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[5] فقولهم أن الله ثالث ثلاثة ،

---

(١) سورة الاعراف: آيه ١٥٨.

(٢) انظر: تفسير المنار، رضا، ٢٥٩/٩،.

(٣) سورة الصافات: آيه ٣٥

(٤) انظر التحرير والتنوير، ابن عاشور١٠٧/٢٣.

(٥) سورة المائدة : آيه ٧٣

والآخران عيسى وأمه حكم الله تعالى عليهم بأنهم كفرة، ورد عليه الله تعالى أنه ليس في الوجود ثلاثة آلهة ولا أثنان ولا أكثر من ذلك فلا يوجد إله إلا الله[١].

ثم بين الله تعالى سبب آخر من أسباب كفرهم فقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٢] فالأحبار هم علماء اليهود ، والرهبان هم المنقطعون للعبادة من أهل النصرنية، وإنما خصّ الأحبار لأن عظماء، دين اليهودية يشتغلون بتحرير علوم شريعة التوراة فيهم علماء في الدين، وخص الراهب بعظيم دين النصرانية لأن دين النصارى قائم على أصل الزهد في الدنيا والانقطاع للعبادة[٣].

فالحاصل أن الإسلام ما شرعه الله تعالى لعبادة على ألسنة رسله وأصول الدين وفروعه موروثة عن الرسل، وهو ظاهر غاية الظهور.

---

(١) انظر: تفسير المنار، رضا،٦ /٤٠٢

(٢) سورة التوبة: آيه ٣١

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور١٠/١٧٠.

الخاتمة

توصل البحث إلى عدة نتائج:

١) إن أغلب استخدام القرآن الكريم لكلمة التوحيد جاءت بـ (لا) النافية، إلا في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم حيث جاءت بـ (ما) وذلك حسب ما يقتضيه السياق القرآني، وفي ذلك مظهر من مظاهر الإيجاز القرآني، فإذا كان السياق إخبار جاءت كلمة (لا إله إلا الله)، وإذا كان السياق للرد على المعاندين جاءت كلمة (ما من إله إلا الله).

٢) إن أهم استدلال قرآني على وحدانيته سبحانه و تعالى، من خلال شهادته سبحانه وتعالى على نفسه وشهادة أشرف المخلوقات على ذلك، ومن خلال أسمائه الحسنى، وصفاته العليا وهو الطريق الموصل إلى وحدانيته سبحانه وتعالى، وهو طريق قل سالكوه أما الطريق الأسهل فهو الاستدلال من خلال المشاهدات.

٣) القرآن الكريم مليء بما يثبت به وحدانيته سبحانه وتعالى، ولكن ينبغي لمن يقرأ القرآن الكريم التدبر والتفكر.

٤) كل مرة ترد كلمة (لا إله إلا الله) لابد من تحقيق هدف من خلالها، وأعظم هدف، هو أثبات التوحيد الخالص لله عز وجل، من خلال ألوهيته وربوبيته، وأسمائه وصفاته، وإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، والإيمان بالقرآن الكريم، والتصديق بقيام الساعة والانقياد والاستسلام لما جاء به الإسلام وهو الدين الذي ارتضاه لنا وللأنبياء السابقين.

توصية:

تعد هذه الدراسة باكورة دراسات تتعلق على وجه الخصوص بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، ويجب أن تعاد دراسات العقيدة الإسلامية من خلال هذه الكلمة (لا إله إلا الله)، وأن تُعد دراسات في التفسير الموضوعي والتحليلي من خلالها.

والحمد لله رب العالمين ...

فهرس المراجع

- أنوار التنزيل واسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٧٨٥ هـ)، المحقق فهد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى .
- بحر العلوم ، أبو الليث نصر محمد بن أحمد بن ابراهيم السمرقندي، ت ٣٧٣ هـ).
- البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) ، المحقق صدقي محمد جميل، الناشر دار الفكر– بيروت، الطبعة ١٤٢٠ هـ.
- البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي(ت ١٣٩٣ هـ)، أضواء الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،١٤١٥ هـ،١٩٩٥م.
- تجريد التوحيد المغير، أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي المحقق طه محمد الزيني، الناشر الجامعة الإسلامية ،المدينة المنورة،١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور ت (١٣٩٣ هـ) ،الدار التونسية –تونس.
- تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين الحسيني (ت ١٣٥٤ هـ).
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير .

- تفسير القرآن العظيم ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي(ت ٧٧٤ هـ)، المحقق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى .
- تفسير المراغي، احمد بن مصطفى المراغي(ق ١٣٧١ هـ) الناشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده مصر، الطبعة الأولى ١٣٦٥ هـ/١٩٤٦ م.
- التفسير الموضوعي ، مناهج جامعة المدينة العالمية ،الناشر جامعة المدينة العالمية.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة مصطفى الزحيلي، الناشر دار الفكر المعاصر، دمشق ،الطبعة الثانية،١٤١٨ هـ
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير، كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦ هـ) ، المحقق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠
- الجامع الكبير، سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الضحاك الترمذي، ت (٢٧٩ هـ)، المحقق، بشار عواد معروف، الناشر: دار الغر ب الإسلامي، بيروت،١٩٩٨م
- جامع البيان، الطبري.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن كثير بن يزيد بن غالب، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر ، الناشر ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠م

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله– صلى الله عليه وسلم– وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر، الناشر دار طوق النجاة، الطبعة ١، ١٤٢٢ هـ
- الجامع لأحكام القرآن، ابو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي ت(٦٧١ هـ) تحقيق أحمد البردوني، وابراهيم أخفيش، الناشر دار الكتب المصرية– القاهرة، الطبعة الثانية(١٣٨٤ هـ/١٩٦٤م).
- حاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع، عبد الرحمن بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي (ت ١٣١٢ هـ/١٣٩٢ ،الطبعة الأولى.
- دراسات قرآنية، محمد قطب، دار الشروق، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٢م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الالوسي،(ت ١٢٧٠ هـ)، المحقق علي عبد الله الباري عطية الناشر دار الكتب العلمية ،بيروت .
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، الناشر مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.
- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، فضل الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (٧٩٢/٧٣١ هـ)، تحقيق :أحمد محمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨ هـ
- شرح العقيدة الطحاوية ،تحقيق شعيب الأرنؤوط، صدر الدين محمد بن

علاء الدين علي بن أبي العز (ت ٧٩٢ هـ)، عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة العاشرة،١٤١٧ هـ/١٩٩٧م.

- شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا للنشر، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥ م.
- شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لشيخ الإسلام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ)، شرحها محمد بن صالح العثيمين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شروط لا إله إلا الله، عواد بن عبد الله المعتق، الناشر المدينة المنورة بالمدينة المنورة، ١٤١٥ هـ
- العقيدة في الله، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن، الطبعة الثانية عشر ١٩٩٩/١٤١٩ مـ.
- فتح القدير، الناشر دار ابن كثير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت ١٥٢٠ هـ)، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ
- كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، زين الدين عبد الرحمن بن احمد بن رجب بن الحسين الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ) المحقق زهير الشاويش، الناشر المكتب الإسلامي ،بيروت الطبعة الرابعة ٥٣٠
- المجتبى من السنن، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخرزاساني النسائي(ت ٣٠٣هـ)، تحقيق عبد الفتاح، أبو غدة، الناشر مكتب، المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية١٤٠٦هـ/١٩٨٦مـ.

- البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع، فضل حسن عباس، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الثانية عشر، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٩م.
- البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، فضل حسن عباس، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الثانية عشر، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٩م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي(ت ٨٠٧ هـ) المحقق حسام الدين القدسي، الناشر مكتبة القدسي، القاهرة،١٤١٤ هـ،١٩٩٤ مـ.
- مجموع فتاوى، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحلبي.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، (ت ٥٤٢ هـ)، المحق عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت – الطبعة الأولى ،١٤٢٢ هـ.
- المسند الصحيح، مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري (ت ٢٦١ هـ). تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي– بيروت ،كتاب الإيمان
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي (ت ٥١٠ هـ)، المحقق عبد الرزاق عبد الرزاق المهدي، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب ابو القاسم الطبراني ت،

٣٦٠ هـ، تحقيق طارق بن عوض الله، وعبد المحسن الحسيني، الناشر دار الحرمين، القاهرة

- معنى لا إله إلا الله، المحقق علي محيي الدين علي قرة داغي، أبو عبد الله بدر الدين محمد عبد الله الزركشي دار الاعتصام القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥ م.
- معنى لا إله إلا الله ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢مـ.
- مفاتيح الغيب، ابو عبد الله بن محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥ هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، ٢٨١ هـ.

فهرس الموضوعات